

التَّعَاقُفُ الْإِسْلَامِيُّ

مَقَرَّةٌ كَلِمَاتٍ

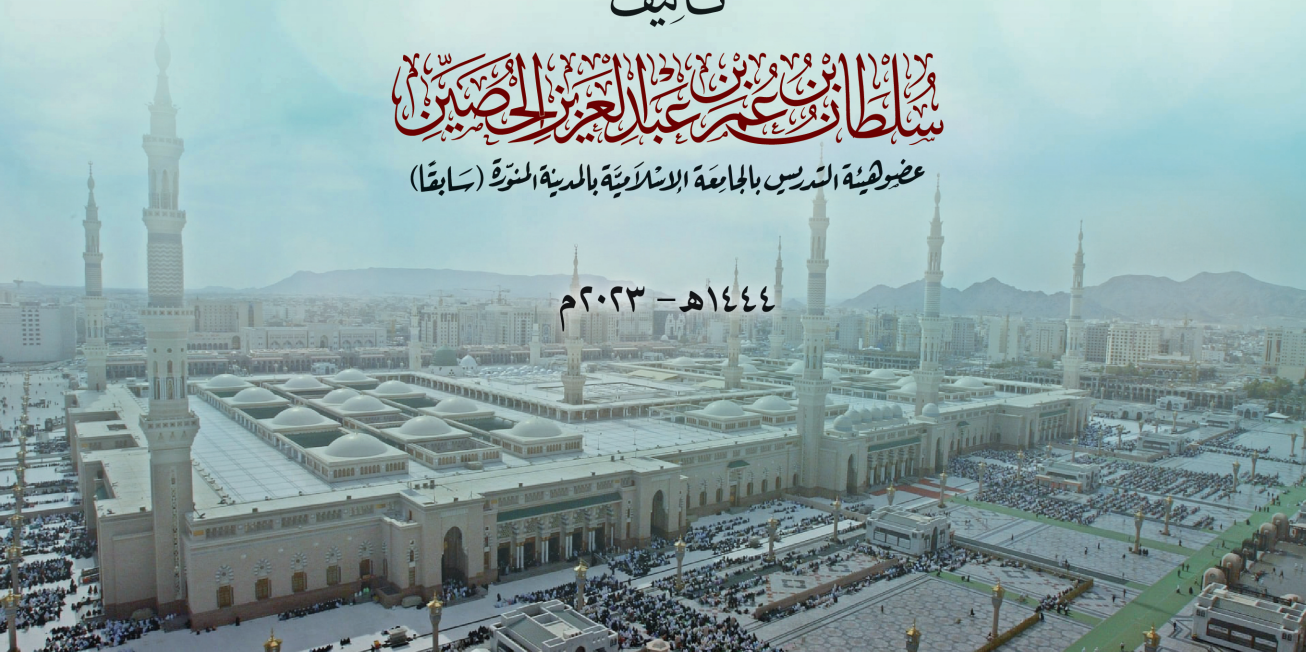
وفق مُفْرَدَاتِ كَلِمَةِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ

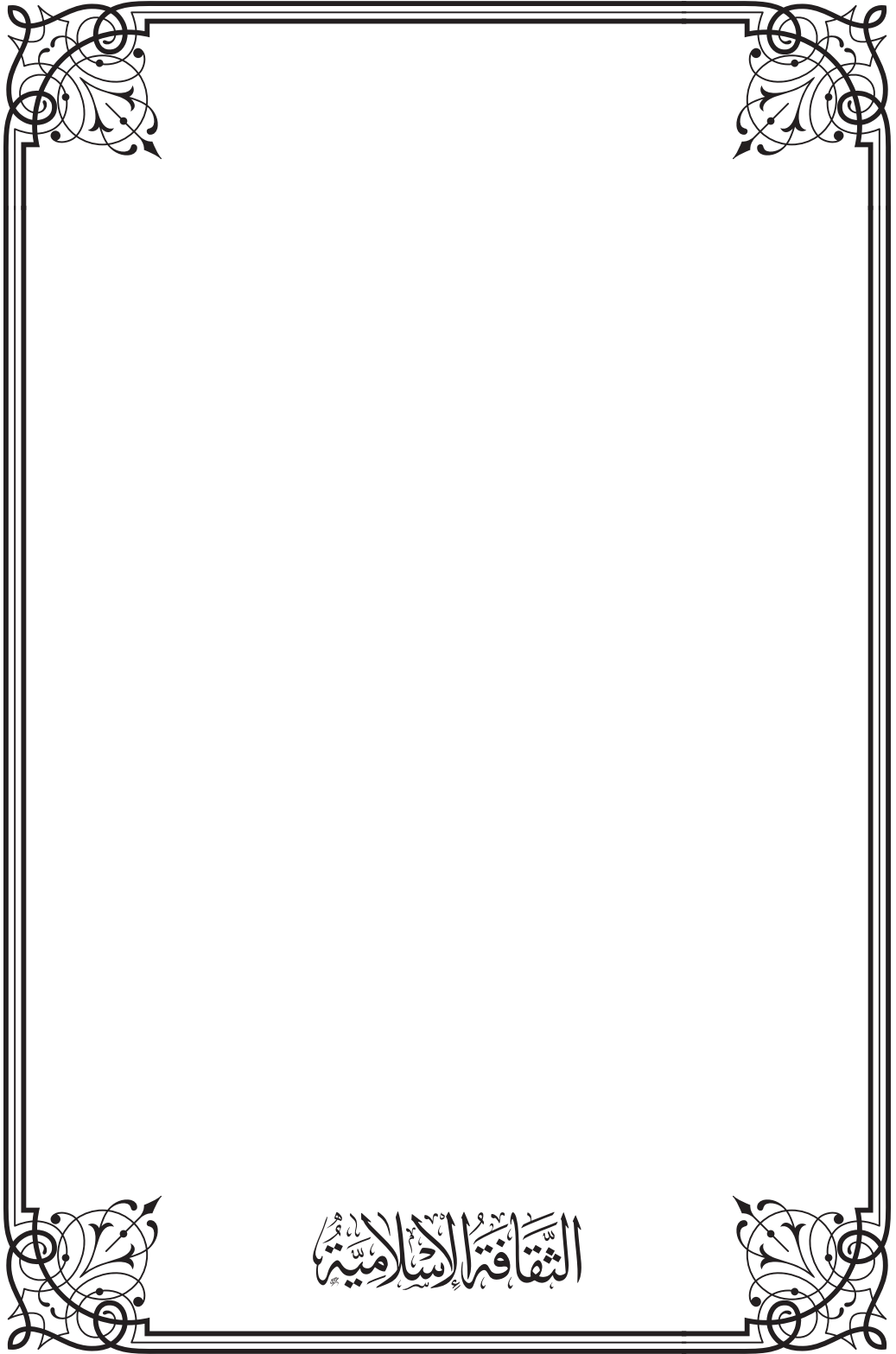
تَأْلِيفُ

سَيِّدُهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحَضْرَمِيُّ

عَضُوهُنَّةُ التَّدْرِيسِ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ (سَابِقًا)

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م





الثقافة الإسلامية

ح) سلطان عمر الحصين، ١٤٤٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحصين، سلطان بن عمر

الثقافة الإسلامية / سلطان بن عمر الحصين - ط١. المدينة المنورة، ١٤٤٤هـ.

١٦٣ ص، ٢٤×١٧ سم

ردمك: ٧-٤٢٧٣-٤-٦٠٣-٩٧٨

١- الثقافة الإسلامية أ. العنوان

١٤٤٤/٩٣٣٣

ديوي: ٢١٤

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٩٣٣٣

ردمك: ٧-٤٢٧٣-٤-٦٠٣-٩٧٨

هذا المؤلف واقع في الملك العام،

فلا تسري عليه المادة الثالثة من النظام السعودي لحماية حق المؤلف



الثقافة الإسلامية



وفق مفردات كليّة المسجد النبويّ

تأليف

د. سلطان بن محمد بن عبد العزيز آل سعود
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالدمية المنورة (سابقاً)

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

مقررات الثقافة الإسلامية بكلية المسجد النبوي

المستويات	أهم المفردات والمحاور
الأول (٢م)	<ul style="list-style-type: none"> ⊗ آداب طالب العلم. ⊗ الثقافة الإسلامية مفهوماً، وأهدافها، ومصادرها، وخصائصها. ⊗ العقيدة الإسلامية. ⊗ العبادة في الإسلام. ⊗ الأخلاق في الإسلام. ⊗ نظرة الإسلام للحياة والكون.
الثاني (٤م)	<ul style="list-style-type: none"> ⊗ الاستشراق: مفهومه، نشأته، أهدافه. ⊗ وسائل الاستشراق. ⊗ مدارس الاستشراق. ⊗ نماذج من دراسات المستشرقين وشبهاتهم والرد عليها. ⊗ مقاومة الاستشراق. ⊗ التنصير: مفهومه، أهدافه. ⊗ وسائل التنصير وأساليبه. ⊗ الحروب الصليبية. ⊗ طرق مواجهة التنصير.
الثالث (٨م)	<ul style="list-style-type: none"> ⊗ النظم الإسلامية: ⊗ نظام الأسرة. ⊗ نظام الاقتصاد الإسلامي. ⊗ النظام السياسي. ⊗ نظام العقوبات.
الرابع (١٢م)	<ul style="list-style-type: none"> ⊗ المجتمع الإسلامي في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ⊗ الأمة الإسلامية في صدر الإسلام. ⊗ معنى الأمة وسماتها. ⊗ الانحراف في تاريخ الأمة مفهومه ومجالاته والآثار المترتبة عليه. ⊗ الغزو الفكري: مفهومه، أسبابه، وسائله. ⊗ الفكر الإسلامي: مفهومه، مقوماته، خصائصه، التجديد في الفكر الإسلامي.

المحتويات

٩.....	الوحدة الأولى: آداب طالب العلم
١١.....	الدرس الأول: مكانة العلم وفضله
١٤.....	الدرس الثاني: آداب طالب العلم في نفسه
٢٧.....	الدرس الثالث: آداب طالب العلم في درسه
٣٠.....	الدرس الرابع: آداب طالب العلم مع زملائه
٣٥.....	الدرس الخامس: آداب طالب العلم مع شيوخه وأساتذته
٣٩.....	الوحدة الثانية: المدخل إلى الثقافة الإسلامية
٤١.....	الدرس الأول: مفهوم الثقافة الإسلامية
٤٣.....	الدرس الثاني: أهداف الثقافة الإسلامية
٤٤.....	الدرس الثالث: مصادر الثقافة الإسلامية
٥٤.....	الدرس الرابع: خصائص الثقافة الإسلامية
٥٩.....	الوحدة الثالثة: العقيدة الإسلامية
٦٣.....	الدرس الأول: التوحيد
٦٦.....	الدرس الثاني: الإيمان
٧٦.....	الدرس الثالث: العبودية
٨٣.....	الدرس الرابع: آثار العقيدة على الفرد والمجتمع

- الوحدة الرابعة: العبادة في الإسلام ٨٩
- الدرس الأول: مفهوم العبادة في الإسلام ٩١
- الدرس الثاني: حكم العبادة وشروطها ١٠٧
- الدرس الثالث: مقاصد العبادة وحكمها ١٠٨
- الوحدة الخامسة: الأخلاق في الإسلام ١١٣
- الدرس الأول: فضل الأخلاق الإسلامية ومكانتها ١١٥
- الدرس الثاني: الإحسان ١٢٠
- الدرس الثالث: العدل ١٢٣
- الدرس الرابع: الصدق ١٢٦
- الدرس الخامس: الصبر ١٢٩
- الدرس السادس: العفة ١٣٣
- الدرس السابع: الأمانة ١٣٦
- الدرس الثامن: بر الوالدين وصلة الرحم ١٣٨
- الوحدة السادسة: نظرة الإسلام للحياة والكون ١٤٣
- الدرس الأول: نظرة الإسلام للحياة ١٤٥
- الدرس الثاني: نظرة الإسلام للكون ١٤٨
- الدرس الثالث: الإسلام والبيئة ١٥٢

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن نعمة الإسلام من أعظم النعم، والمرء بغير إسلام يتيه في ضلالات الهوى وينحدر في دركات الظلم، فتضيق نفسه وتشتد عليه الحياة وإن ملك المال والجاه، فتراه يذوق حياة الضنك والشقاء وهو يسبح في الرفاهية المادية ويمتلك أسبابها؛ وما ذلك إلا بسبب البعد عن صراط الله المستقيم ودينه القويم وهو ما وضحه الله في كتابه الكريم بقوله: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٤].

والشباب المسلم اليوم يواجه تحديًا ثقافيًا هائلًا يغزوه في عقيدته ومبادئه وقيمه محاولاً أن يستبدلها بقيم بعيدة عن الشرع الحنيف وهدى سيد المرسلين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولذا جاء هذا الكتاب محاولاً أن يسد حاجة تعليمية لدى المدارس والجامعات الإسلامية في العالم في مجال الثقافة الإسلامية وقد روعي فيه أن يكون مقررًا دراسيًا بلغة سهلة وتركيز على أهم ما يحتاج إليه النشء من معالم الثقافة الإسلامية وتحدياتها المعاصرة.

سائلًا المولى عزَّجَلَّ أن يكتب له ولكاتبه وقارئه وناشره والمسلمين كافة الإخلاص والقبول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى رحمة الله ومغفرته

أبو صهيب

سَيِّدُ الْبَنَاتِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَدِينِ

غرة رمضان ١٤٤٤هـ - طيبة الطيبة

الوحدة الأولى

آداب طالب العلم

❁ **الدرس الأول: مكانة العلم وفضله.**

❁ **الدرس الثاني: آداب طالب العلم في نفسه.**

❁ **الدرس الثالث: آداب طالب العلم في درسه.**

❁ **الدرس الرابع: آداب طالب العلم مع زملائه.**

❁ **الدرس الخامس: آداب طالب العلم مع شيوخه وأساتذته.**

الدرس الأول: مكانة العلم وفضله

العلم شأنه عظيم في الإسلام فأول آية تلقاها قلب نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آية متعلقة بالعلم وهي قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، وتتجلى مكانة العلم في الإسلام في النقاط الآتية:

١. أهل العلم هم أهل الرفعة والمكانة العالية:

من اصطفاء الله لخلقه أن يسخر لهذا العلم رجالاً يرفعهم به ويعلي به درجاتهم في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، كما بين ربنا عزَّجَلَّ أن الذين يعلمون هم أعلى درجةً ومكانةً من غيرهم فقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

٢. العلماء هم أكثر الناس خشية لله:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، أي يرفع الله تعالى أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم به من العلم والإيمان^(١).

٣. طلب الزيادة من العلم:

علم الله نبيه محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعاء يدعو به طالباً زيادة العلم، حيث قال: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وكان ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا قرأ هذه الآية قال: «اللهم زدني إيماناً و يقيناً»^(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص ٧٨٥).

(٢) تفسير القرآن للسمعي (٣/ ٣٥٨).

٤. العلم من مجالات التنافس في الخير:

طلب العلم من العمل الصالح الذي يتنافس فيه أهل الهمم العالية، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»^(١)، فأصل الفضائل الداخلية العلم وأصل الفضائل الخارجية المال وهما فضيلتان أشار إليهما الحديث^(٢).

٥. طلب العلم طريق موصل إلى الجنة تحفه الملائكة:

طريق العلم طريق شريف ودرب مبارك، أوله في الدنيا وآخره في الجنة، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سلك طريقاً يبتيغي فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»^(٣).

وقيل في معنى وضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم ثلاثة أقوال: «الأول: أنه بسط الأجنحة، والثاني: أنه التواضع تعظيماً لطالب العلم، والثالث: أن المراد به النزول عند مجالس العلم وترك الطيران، ووجه استغفار الحيتان للمعلم أن نفع العلم يعم كل شيء حتى الحوت، فإن العلماء عرفوا بالعلم ما يحل ويحرم، وأوصوا

(١) البخاري: باب الاغتباط في العلم ح (٧٣).

(٢) ينظر عمدة القاري، بدر الدين العيني (٥٨/٢).

(٣) أبو داود: باب الحث على طلب العلم، ح (٣٦٤١).

بالإحسان إلى كل شيء حتى إلى المذبوح والحوت، فألهم الله تعالى الكل الاستغفار لهم جزاءً لحسن صنيعهم»^(١).

قال معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «تعلموا العلم، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم في الخير قادة وأئمة: تُنقص آثارهم، ويُقتدى بأفعالهم، ويُنتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خُلَّتْهم، وبأجنتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيثان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم»^(٢).

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «القلوب أوعية خيرها أوعاها، الناس ثلاثة: عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق. العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو بالعمل والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم والمال محكوم عليه، وصناعة المال تزول بزواله، ومحبة العالم دين يدان بها يكسبه الطاعة في حياته، وجميل الأحداث بعد موته مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة»^(٣).

(١) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي (ص ١٣-١٤).

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم (١/٢٣٩).

(٣) الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/١٨٢-١٨٣)، وأورده الشنقيطي في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/٣١١) وقال: «وهو حديث مشهور عند أهل العلم يستغنى عن الإسناد لشهرته عندهم».

الدرس الثاني: آداب طالب العلم في نفسه

لطالب العلم في نفسه آداب وقواعد إذا التزمها حاز النجاح والفلاح ومن ذلك:

أولاً: الإخلاص:

أول قاعدة في طلب العلم إخلاص النية فيه لله عَزَّجَلَّ، والإخلاص هو: «إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة»^(١)، وهو من أهم القواعد وأعظمها قدرًا ومكانة، فإن حقق طالب العلم الإخلاص فقد حاز النجاح والتوفيق والسداد، وليستبشر بخيري الدنيا والآخرة، يظهر ذلك جلياً من خلال العناصر الآتية:

١. صلاح النية يقوم عليه أمر الإسلام:

أمر الله بالإخلاص فقال: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، ويبيّن أن صلاح النية وإخلاصها لله عَزَّجَلَّ دون سواه أساس الدين، فقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٢)، ولمكانة الإخلاص وعظمته قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه»^(٣).

وحقيقة الإخلاص: أن تكون أفعال الإنسان وأقواله وحركاته وسكناته وكل

أمره لله وحده، قال سبحانه على لسان إمام المخلصين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي

(١) مدارج السالكين، ابن القيم (٢/ ٩١).

(٢) البخاري: باب كيف كان بدء الوحي، ح (١).

(٣) البخاري: باب الحرص على الحديث، ح (٩).

وَسُكِّيَ وَحَيَّأَى وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿﴾
[الأنعام: ١٦٢]، فالإخلاص لبُّ العبادة وعنوان السعادة وروح كل الأعمال ولا يطلع عليه إلا الله.

٢. التترك في النية طريق إلى النار:

حذّر النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من إشراك غير الله في العمل، وجاء ذكر العلم على وجه التحديد، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة فذكرهم وذكر منهم رجلاً تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: ما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته فيك قال: كذبت بل تعلمت العلم ليقال: عالم وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار»^(١).

٣. الحذر من أن تكون الدنيا والمباهاة مقصد طالب العلم:

حذّر المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أن تكون الدنيا مقصد طالب العلم الشرعي فقط، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من تعلم علماً مما يُبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»^(٢).

وقد عني السلف بتصحيح النية قال الإمام الذهبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تصحيح النية من طالب العلم متعين، فمن طلب الحديث للمكاثرة، أو المفاخرة، أو ليروي، أو ليتناول الوظائف، أو ليشتى عليه وعلى معرفته: فقد خسر، وإن طلبه الله، وللعمل به، وللقربة بكثرة الصلاة على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولنفع الناس: فقد فاز، وإن كانت

(١) مسلم: باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، ح (١٩٠٥).

(٢) أبو داود: باب في طلب العلم لغير الله، ح (٣٦٦٤).

النِّيَّةُ ممزوجةٌ بالأمرين: فالحكمُ للغالب، وإن كان طلبه لفرط المحبة فيه، مع قطع النظر عن الأجر، وعن بني آدم: فهذا كثيرًا ما يعترى طلبه العُلوم، فلعلَّ النِّيَّةَ أن يرزُقها اللهُ بعدُ، وأيضًا فمن طلب العلم للآخرة: كسأه العلمُ خشيةً لله، واستكانَ وتواضعَ، ومن طلبه للدنيا: تكبرَّ به وتكثَّرَ وتجبرَّ، وازدرى بالمسلمين العامَّة، وكان عاقبةُ أمره إلى سِفَالٍ وحقارةٍ^(١).

٤. الإخلاص يُطهِّر القلب من الحقد والغل والخيانة:

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»^(٢).

وإذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسوس والرياء، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فالمؤمن المخلص لله، من أطيب الناس عيشًا، وأنعمهم بالآل، وأشرحهم صدرًا، وأسرهم قلبًا، وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة»^(٣)، فالإخلاص مسك القلب ينقيه من الحقد والحسد والضغينة والغل وسائر أمراض القلب.

ثانيًا: الاستقامة:

الاستقامة هي: «القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد»^(٤) وتظهر قيمة الاستقامة في طلب العلم من خلال ما يأتي:

١. أهل الاستقامة مبشرون بالجنة:

بيِّن الله الفضل الذي ينتظر عباده الذين سلكوا طريق الاستقامة، بقوله

(١) الموقظة، الذهبي (١/٦٥).

(٢) رواه الترمذي: باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، ح (٢٦٥٨).

(٣) الجواب الكافي، ابن القيم (١/١٩٧).

(٤) مدارج السالكين، ابن القيم (٢/١٠٦).

جَلَّالَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَزَلُّ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

٢. بَيِّنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرِيقَ الْاسْتِقَامَةِ وَحِثْ عَلَى لُزُومِهِ:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خَطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سَبِيلٌ مَتَفَرِّقَةٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْكَم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأَنْعَامُ: ١٥٣] (١)، وَعِنْدَمَا جَاءَهُ أَحَدُ أَصْحَابِهِ يَسْأَلُهُ: قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا، لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ. قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقَمْتُ» (٢).

٣. الْعِلْمُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ الْاسْتِقَامَةُ وَالْخَشْيَةُ مِنَ اللَّهِ:

العلماء أكثر الناس خشية قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية».

٤. الذنوب سبب لحرمان العلم:

ينبغي لطالب العلم الحذر من الذنوب والمعاصي فإن عاقبتها وخيمة ومن عواقبها حرمان العلم أو شيء منه، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «من الذنوب ما يكون سبباً لخنفاء العلم النافع أو بعضه؛ بل يكون سبباً لنسيان ما علم» (٣).

(١) صحيح ابن حبان (١/١٨٠).

(٢) مسلم: باب جامع أوصاف الإسلام، ح (٣٨).

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٤/١٦٠).

وعندما شكى الإمام الشافعي رَحْمَةُ اللَّهِ تَغْيِيرَ قُوَّةِ حِفْظِهِ أَرْشَدَهُ شَيْخُهُ وَكَيْعَ رَحْمَةُ اللَّهِ إِلَى الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ فَبَيَّنَهُ الشَّافِعِيُّ بِقَوْلِهِ:

شكوت إلى وكيع سوء حظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي^(١)

فالاستقامة على طاعة الله طريق التوفيق في طلب العلم وغيره، وعدم لزوم هذه القاعدة يؤدي إلى الفشل في تحصيل العلم، فالعلم نور، والمعصية ظلمة وهما لا يجتمعان أبداً، إذ «الحسنة نور في القلب، وقوة في البدن، والسيئة ظلمة في القلب ووهن في البدن»^(٢).

هـ. مجانبة الذنوب والمعاصي:

حري بطالب العلم أن يتجنب المعاصي وأن يصرع الذنب حتى يتركه؛ وليغمره بوابل الحسنات والطاعات قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مَنْ أَلِيلٍ إِنْ أَحْسَنْتَ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ﴾ [هود: ١١٤]، وقال أيضاً: ﴿وَيَذَرُوكَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَ نَكَتَهُ سُودَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَاسْتَغْفَرَ، صَقَلَ قَلْبَهُ، وَذَلِكَ الرِّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]»^(٣)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، فَيَتَوَضَّأُ، فَيُحْسِنُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُومُ، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى، إِلَّا غُفِرَ لَهُ»^(٤).

(١) ديوان الإمام الشافعي (ص ٦١).

(٢) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي (ص ٢٦٦).

(٣) مسند أحمد ح (٧٩٤٠).

(٤) شرح مشكل الآثار، الطحاوي ح (٦٠٣٩) (١٥/٣٠٢).

قال معروف الكرخي رَحِمَهُ اللهُ: سمعت ابن السماك رَحِمَهُ اللهُ يقول: «من كان مع الله تارة وتارة، كان الله معه تارة وتارة، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه، ومن أقبل على الله بكليته أقبل الله سبحانه بكامل رحمته عليه، فأدهشني كلامه ووقع في قلبي وقلت: إن مكنتني ربي لأفوزن بأعلاها، فأقبلت على الله بكليتي فأقبل ربي علي بوسع رحمته وعطائه».

ثالثاً: العمل بالعلم:

لا بد لطالب العلم أن يقرن أقواله بأفعاله وإلا أصبحت أقواله حجة عليه وتتجلى قيمة هذه القاعدة في النقاط الآتية:

١. ترك العمل بالعلم طريق لمقت الله:

حذّر الله من مخالفة الأقوال الأفعال فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢، ٣]، كما حذّر نبينا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك المسلك وبين عاقبته الوخيمة يوم القيامة حيث قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى قد كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية»^(١).

٢. طالب العلم سيُسأل عما عمل بعلمه:

بين نبينا الكريم أن كل إنسان سيُسأل يوم القيامة عن العلم هل أتبعه بالعمل أم لا؟ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن

(١) مسلم: باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله، ح(٢٩٨٩).

أربع : عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه»^(١).

٣. حرص السلف على الجمع بين العلم والعمل :

ولقد كان السلف الصالح يجمعون بين العلم والعمل فيظهر أثر ذلك على جوارحهم؛ خشوعاً في قلوبهم، وسلامة في ألسنتهم وأبدانهم، قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: «كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وهديه ولسانه ويده»^(٢).

٤. العمل بالعلم نماء للعلم ورفعة لصاحبه :

أحد أهم الأسباب لبقاء العلم في الصدر ونمائه هو العمل به، قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ: «يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل»، كما أن العمل بالعلم سبب لرفعة الإنسان واحتياج الناس إلى ما عنده من العلم، قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ما استغنى أحد بالله إلا احتاج إليه الناس وما عمل أحد بما علمه الله إلا احتاج الناس إلى ما عنده»^(٣).

رابعاً: المبادرة إلى تحصيل العلم واغتنام الوقت :

من القواعد المهمة في طلب العلم المسارعة إلى تحصيله واغتنام الوقت والعمر خاصة الشباب، فهي مرحلة مهمة من مراحل الإنسان تتميز بالقوة البدنية والذهنية، والوقت ليس من ذهب فقط كما يقول المثل الشائع، بل هو أعلى من الذهب، فهو الحياة.

(١) الترمذي: باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، ح(٢٤١٧).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/١٤٢).

(٣) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر (٢/١٠).

إن تأجيل الأعمال والتسويق إحدى مهدرات الوقت، ولو استثمر الإنسان الفرص التي تمر به لصنع تاريخاً، فالتسويق يسرق من الإنسان عمره ويقعد بصاحبه عن القيام بواجبه، فيحول بينه وبين ما يطمع ويتمنى.

وللوقت آفات قاتلة، منها الفراغ، واللهو، والغفلة، فكل ساعة تمضي من العمر لا بدل لها ولا عوض، وما أكثر الذين غرتهم خدع التسويق من الطلبة اليوم فتجد أحدهم في مرحلة الدراسة يؤجل كثيراً من الأمور المهمة كحفظ كتاب الله وحفظ المتون والقراءة والتحصيل العلمي وغير ذلك بحجة أنه بعد التخرج من الدراسة سيتفرغ لكل هذه الأمور وغيرها، ثم يفاجأ بعد التخرج بكثير من الأعمال والمشاكل التي ما كانت تلزمه وهو طالب، فأصبح مدرساً أو موظفاً ورب أسرة ومن المقطوع به أن المرء في مرحلة الطلب أفرغ ما يكون في الغالب.

ومن أعظم ما يسرق الوقت في أيامنا هذه ما يعرف بالفضاء الإلكتروني وأدوات التواصل الاجتماعي التي غزت البيوت والمجتمعات والمدارس والجامعات بل والمساجد وغرف النوم، فأصبح من الشائع أن ترى أصحاب البيت الواحد مجتمعين وكذلك الطلاب إلا أن كل واحد منهم مشغول بجواله، لساعات طوال في مضيعة للوقت فيما لا يفيد.

وفي قاعدة ذهبية نفيسة تكتب بهاء الذهب وعظ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحد أصحابه فقال: «اغتنم خمسا قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»^(١).

(١) المستدرک علی الصحیحین، الحاکم (٤/ ٣٤١).

ففي هذه الموعظة القيمة يشير النبي الكريم إلى خمس فرص مهمة في حياة طالب العلم ينبغي أن لا يضيعها؛ لأنه يعقبها خمس مراحل لا يتمكن فيها الطالب أن أداء ما يرغب من الأعمال وذلك لأن الحالة التي صار إليها والمرحلة التي أصبح فيها هي مرحلة ضعف، فمرحلة الشباب هي مرحلة الإقدام، والقوة، والذاكرة الغضة التي تحفظ، والذهن المتوقد الذي يفهم، تعقبها مرحلة الهرم والشيخوخة وهي مرحلة ضعف ونسيان وعدم تحمل وذاكرة ممتلئة غير قابلة للحفظ والتذكر.

ومرحلة الصحة مرحلة الجسم القوي الذي يتحمل السفر في الطلب والسهر وقوة الحواس وسلامتها يعقبها مرحلة المرض والضعف والاشتغال بالآلام.

ومرحلة الغنى مرحلة الإنفاق في وجوه الخير وفي شراء الكتب وفي السفر لطلب العلم يعقبها مرحلة الفقر حيث لا مال ولا قدرة على الشراء.

ومرحلة الفراغ التي يجدها طالب العلم في بداية الطلب يعقبها مرحلة الاشتغال بالأبناء والأسرة والعمل وكسب العيش والدعوة إلى الله وغيرها من الأعمال والمسؤوليات.

ومرحلة الحياة مرحلة العمل والتزود بالعمل الصالح يعقبها مرحلة الموت حيث ينقطع العمل ويقبل الإنسان إلى ربه فيجد ما قدم أمام عينيه.

ومعلوم أن كل من غادر الدنيا وفارق الحياة يتمنى الرجوع، فإن كان مسلماً يتمنى الزيادة في العمل وإن كان غير مسلم يتمنى الدخول في الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

خامساً: الإقلال من النوم والطعام: قواعد وأداب تتعلق بالنوم:

النوم أحد الأسرار الإلهية العجيبة التي أودعها الله في خلقه، والتي لا يستغني عنها الإنسان بحال من الأحوال، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاءُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [الروم: ٢٣].

فبعد أن يبلغ التعب بالإنسان غايته والجهد مداه يتغشاه النوم ثم يستيقظ فإذا بحيويته قد تجددت ونشاطه قد عاد، ولا يمكن للإنسان أن يستغني عن النوم فهو من الحاجات الضرورية، ولكنه يتحول إلى خسارة وفقر إن زاد عن حده الطبيعي، والنقاط الآتية توضح أثر العناية بمسألة النوم لطالب العلم:

١. كثرة النوم من مفسدات القلب:

قال ابن القيم: «مفسدات القلب خمسة هي: كثرة الخلطة، والتمني، والتعلق بغير الله، والشبع، والمنام، فهذه الخمسة من أكبر مفسدات القلب»^(١).
فكثرة النوم تثقل البدن، وتُضيع الوقت، وتُورث الغفلة والكسل، ومنه المكروه جداً، ومنه الضار غير النافع للبدن، وأنفع النوم ما كان عند شدة الحاجة إليه، ومن المكروه النوم بين صلاة الصبح وطلوع الشمس؛ لأنه وقت غنيمة.

٢. النجاح لا يكون إلا في اليقظة:

ينبغي أن يعلم طالب العلم أنه لا نجاح إلا في اليقظة، ومع أن النوم ضرورة حيوية، فإن الإفراط فيه يضيع كثيراً من الخير والتحصيل العلمي، ومتوسط النوم

(١) ينظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم (١/ ٤٥١).

الطبيعي للإنسان ثماني ساعات في اليوم واللييلة، ولقد دأب سلفنا الكرام على تأديب تلاميذهم بالآداب العالية التي تعينهم في تحصيلهم العلمي، ومن ذلك قولهم: «عليك بالنشاط في العمل وترك البطالة والكسل ولا تكن كلاً على غيرك، فإن الرجل من يأكل من كسبه ويشرب من ورده»^(١).

٣. العناية بالأوقات الثمينة:

مما ينبغي لطالب العلم العناية به الاستفادة من الأوقات الثمينة في يومه وليلته، فوقت السحر من أجل الأوقات وأنفعها، وهو وقت مبارك، وأصفى ما يكون ذهن الإنسان في وقت السحر؛ ولذا فضله الله بالذكر والاستغفار والدعاء.

ومن الأوقات الثمينة كذلك: الوقت بعد صلاة الفجر فهو وقت مبارك وهو مفتاح اليوم وبدايته وبركته ونومه ضار غير مفيد، قال ابن القيم: «وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتعد هذا الغداء لسقطت قوتي»^(٢).

وحرى بطالب العلم أن لا يضيع ثلاث ساعات: وهي الساعة قبل صلاة الفجر والساعة بعدها وآخر ساعة من يوم الجمعة فهذه الساعات الثلاث، من أنفس الأوقات وأثمنها وأكثرها أثراً وبركة.

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، جمال الدين القاسمي (ص ٢٢).

(٢) المستدرک على مجموع الفتاوى، محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (١ / ١٥٨).

٤. النوم المبكر طريق النجاح:

أفضل قاعدة في التعامل مع النوم هي: نم مبكرًا و استيقظ مبكرًا، كما أن أفضل أوقات النوم ما كان بعد صلاة العشاء، فقد «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها»^(١).

قواعد وأداب الطعام:

من نعم الله على الخلق أن يسر لهم الطعام وأوجد لهم الرزق ليأكلوا ويشربوا من رزقه، قال الله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِيَآئِهِ تَعْبُدُونَ ﴾ [النحل: ١١٤].

ومن القواعد المفيدة لطالب العلم المتعلقة بالطعام:

١. تجنب الإسراف في الطعام:

من آداب الطعام عدم الإسراف فيه حيث قال سبحانه: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١]، ومن الإسراف أن يأكل الإنسان أكثر من حاجته وفوق طاقته.

٢. العناية بالهدي النبوي في الأكل:

وضع لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهجًا رائدًا وقاعدة عظيمة متعلقة بالطعام، لو أخذ بها الناس لاستغنوا عن نصف المشافي في العالم، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن بحسب ابن آدم أكالات يقيم صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»^(٢).

(١) البخاري: باب ما يكره من النوم قبل العشاء، ح (٥٤٣).

(٢) الترمذي: باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، ح (٢٣٨٠).

٣. الإقبال على الطعام عند الجوع فقط:

على طالب العلم ألا يأكل إلا وهو جائع، وأن يقبل على الطعام وهو يشتهيهِ ويقوم عنه وهو يشتهيهِ «فمن أعظم الأسباب المعينة على الاشتغال بالعلم والفهم وعدم الملل، أكل القدر اليسير من الحلال، وسبب ذلك أن كثرة الأكل جالبة لكثرة الشرب وكثرته جالبة للنوم والبلادة وقصور الذهن وقصور الحواس وكسل الجسم، هذا مع ما فيه من الكراهية الشرعية والتعرض لخطر الأسقام البدنية»^(١)، «ومن أراد أن تغزر دموعه ويرق قلبه فليأكل وليشرب في نصف بطنه»^(٢).

وخلاصة هذه القاعدة التوسط في الطعام فلا يأكل أكثر من حاجته، ولا يدخل الطعام على الطعام.



(١) تذكرة السامع والمتكلم، ابن جماعة (ص ١١٩-١٢٠).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني (٨ / ٣١٨).

الدرس الثالث: آداب طالب العلم في درسه

أولاً: الإعداد للدرس:

من القواعد التي ينبغي لطالب العلم أن يأخذ بها؛ الإعداد العلمي والنفسي لدرسه وهذا يشمل ما يأتي:

١. التبكير للدرس:

التبكير في الحضور إلى الدرس من أهم الأولويات التي ينبغي أن يعتني بها طالب العلم؛ فالتأخر عن الدروس العلمية أو كثرة الغياب عنها يسبب فوات كثير من العلم، وعليه إذا حضر إلى درسه أن يجلس حيث ينتهي به المجلس، وألا يقيم أحدًا من مكانه ليجلس فيه، فهذا ليس من الأدب، وليس من حسن الصحبة مع زملاء الطلب.

٢. التحضير الجيد للدرس:

ليحرص الطالب أن لا يأتي خالي الذهن لدرسه، بل عليه أن يُعوّد نفسه على التحضير والقراءة المسبقة في موضوع الدرس؛ فهذا يحقق مزيدًا من الفهم والاستيعاب والتواصل مع ما يُطرح من مادة علمية، وينبغي له كذلك مراجعة دروسه بعد الانتهاء منها، بالحفظ ومراجعة المسائل والشروح، وهو ما يعرف عند السلف بمذاكرة العلم.

٣. إحضار لوازم الدرس:

من الإعداد للدرس إحضار ما يحتاج إليه طالب العلم من كتب وأوراق وأقلام وأدوات يحتاج إليها في درسه، وليحافظ على كتابه وعدم تعريضه للإهانة أو التلف

خاصة بعد الانتهاء منه، وهو ما يحدث أحياناً بعد انقضاء الامتحانات، فالكتاب هو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يغريك، والرفيق الذي لا يملك.

ثانياً: تقييد العلم:

العلم صيد والكتابة قيد قيّد صيودك بالحبال الوثيقة
فمن الحماقمة أن تصيد غزالتة وتتركها بين الخلائق طالقة

من الوسائل المعينة على طلب العلم وترسيخه تقييد الفوائد العلمية أثناء
الدرس، ويساعد في ذلك المهارات الآتية:

١. مهارة التقييد الكتابي:

مهارة تسجيل الفوائد مهارة مهمة لطالب العلم وهي مهارة قد يكتنفها شيء من
الصعوبة في بداية الطلب، ولكن مع المداومة والتنظيم فإن طالب العلم سيحصل
مع مرور الوقت على كنز عظيم من الفوائد والعبر والدروس لا تقدر بثمن.

٢. مهارة التقييد الصوتي أو المرئي:

التقييد الصوتي أو المرئي بأجهزة التسجيل الصوتية أو المرئية من الوسائل
الحديثة التي تفيد في الطلب، ومن أهم مزاياها أنها تقيّد كل ما يتكلم به الشيخ،
فلا يخشى الطالب بطيء الكتابة أن يفوته شيء مما قيل في درسه، ومن الأدب
الاستئذان من المعلم عند التسجيل.

ثالثاً: التركيز:

- التركيز التام والإنصات البالغ للدرس، مهم في التحصيل العلمي، ويكون ذلك بقطع المشتتات الذهنية ومما يساعد في ذلك:
- ✦ إغلاق وسائل الاتصال، ومن أهمها الجوال، فهو مشتت ذهني يعيق التركيز في الدرس.
 - ✦ تجنب الحديث الجانبي مع الأقران والزملاء، فهو يفوت كثيراً من العلم ويصرف عن متابعة كلام المعلم.
 - ✦ الامتناع عن الاشتغال بمواد غير الدرس، كالاشتغال بقراءة كتاب آخر غير الكتاب الذي يُقرأ في الدرس؛ إذ في ذلك سوء أدب مع الشيخ كما أنه يشغل عن تقييد العلم وصيد فوائده.



الدرس الرابع: آداب طالب العلم مع زملائه

أولاً: اختيار الجليس الصالح:

زملاء الدراسة ورفقاء الطلب هم أقرب الناس إلى طالب العلم بعد أقاربه، يراهم أكثر من غيرهم، فيلزم معاشرتهم بالمعروف، ومقابلتهم باللطف والبشاشة. والجلس الصالح يعين في طلب العلم، يذكرك إذا نسيت، وينبهك إذا غفلت، ويشد من عزيمتك إن ضَعُفَتْ، وليكن ذلك الصاحب صالحاً ديناً تقياً ورعاً كثير الخير قليل الشر، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»^(١).

فالصاحب صاحب إلى الخير أو الشر، قال العلماء: «احذر من صحبة الفارغ؛ فإنه يفتك بوقتك فتك الوباء فالمخالطة تؤثر والطبع سراق، فاصحب الأخيار وما وراء كثير من اللغو إلا إضاعة الوقت سدى، وقطع مراحل الحياة على غير هدى»^(٢).

وينبغي لطالب العلم أن يراعي حق الأخوة الإسلامية مع زملاء الطلب فيحرص على إفشاء السلام وردده، وعبادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس، وكف الأذى فعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَمْرًا رَسُولُ اللَّهِ

(١) البخاري: باب المسك، ح(٥٥٣٤).

(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، جمال الدين القاسمي (ص ٢٣).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبع ونهانا عن سبع أمرنا بعبادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس وإبرار المقسم ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإفشاء السلام»^(١).

ومن حقوق الأخوة كذلك الوفاء بالوعد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أَوْثَمَنَ خَانَ»^(٢)، فحريٌّ بطالب العلم العناية التامة بالوفاء بالوعد والحرص على الحضور إلى الموعد قبل وقته بدقائق، وإن حصل له عارض يؤخره أو يمنعه؛ فليبادر إلى إعلام أخيه بذلك.

ثانياً: البعد عن النزاع والجدال:

مما ينبغي لطالب العلم أن يفتن إليه في تعامله مع زملائه وأقرانه في حلقة العلم، وقاعة الدرس؛ البعد عن النزاع والجدال وهو كثير بينهم، وتبرز قيمة هذه القاعدة الجليلة فيما يأتي:

١. التنازع طريق الفشل:

أمر الله عباده المؤمنين بعدم النزاع مبيِّناً أن ذلك سبب الفشل وذهاب القوة، فقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

٢. نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن التباغض والتدابير:

حذّر النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التباغض والتحاسد بين المسلمين، بقوله: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى

(١) البخاري: باب الأمر باتباع الجنائز ح(١١٨٢).

(٢) البخاري: باب علامة المنافق ح(٣٣).

هاهنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه»^(١).

٣. التحذير من الاختلاف:

حذّر العلماء من الاختلاف المؤدي إلى العداوة والبغضاء، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «كل ما أدى إلى البغضاء والعداوة بين الناس فإن الشرع يمنعه منعاً باتاً؛ لأن الدين الإسلامي مبني على الألفة والمحبة والموالاتة بين المسلمين»^(٢).

وما ينتشر بين طلاب العلم من النزاع والجدال إما أن يكون في الأمور الشخصية أو في المسائل العلمية، أما ما كان في الأمور الشخصية فهو مما ينبغي تجنبه والحذر منه وغلق جميع السبل الموصلة إليه، وأما النزاع في المسائل العلمية فينبغي أن يكون بالتي هي أحسن وبالخلق الأقوم، وأن يكون الحق رائده في ذلك، لا قصد الغلبة على الأقران وإظهار المقدرة العلمية وقوة الحجة.

وعندما يكثر الاختلاف بين طلاب العلم يكثر القيل والقال والهمز واللمز، وربما تحول إلى سوء ظن وتصنيف وتراشق وتحميل للأقوال بما لا تحتمل، وهو أمر في غاية الخطورة وآثاره وخيمة في العاجل والآجل، «فالجدل يورث قسوة القلب والتباغض وكراهة الحق إذا كان مع خصمك وإضاعة الوقت بلا فائدة وشحن النفوس»^(٣).

(١) مسلم: باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره، ح(٢٥٦٤).

(٢) الشرح الممتع، ابن عثيمين (٨/١٤٣).

(٣) شرح حلية طالب العلم، ابن عثيمين (ص٣١٧).

٤. الحذر من آفات اللسان:

على طالب العلم البعد عن آفات اللسان كالسخرية، والغيبة والنميمة والتنازب بالألقاب والفحش في القول، فهي أمور تؤدي بصاحبها إلى النار قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا تَبَيَّنَ فِيهَا يَهُوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(١). وعندما سُئِلَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قال: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ»^(٢).

ومن لوازم عفة اللسان الكف عن الحديث في أعراض الدعاة والعلماء، وللشيخ عبد المحسن العباد توجيه شديد إذ يقول حفظه الله: «أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهُ مِنْ أَشْغَلْ نَفْسَهُ بِتَجْرِيحِ الْعُلَمَاءِ وَطَلْبَةِ الْعِلْمِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُمْ، فَيَشْتَغِلْ بِالْبَحْثِ عَنْ عَيْبِهِ لِتَخْلُصَ مِنْهَا بَدَلًا مِنْ الِاشْتِغَالِ بِعَيْبِ الْآخَرِينَ، وَيَحَافِظُ عَلَى الْإِبْقَاءِ عَلَى حَسَنَاتِهِ فَلَا يُضَيِّقُ بِهَا ذَرْعًا، فَيُوزَعِهَا عَلَى مَنْ أُبْتَلِيَ بِتَجْرِيحِهِمْ وَالنَّيْلِ مِنْهُمْ، وَهُوَ أَحْوَجُ مِنْ غَيْرِهِ إِلَى تِلْكَ الْحَسَنَاتِ فِي يَوْمٍ لَا يَنْفَعُ فِيهِ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ»^(٣).

وقد ورد سؤال للجنة الدائمة للإفتاء برئاسة الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية مفاده أن طلبة من خريجي الجامعة الإسلامية كانوا يتعاونون على نشر العلم والدعوة منذ عشرين عامًا ثم دب بينهم داء الأمم قبلهم من الفرقة والخلاف؛ حتى صاروا أشتاتًا كل يدعي أن الحق معه وطلب

(١) البخاري: باب حفظ اللسان، ح (٦٤٧٨).

(٢) البخاري: باب أي الإسلام أفضل؟ ح (١١).

(٣) رفقًا أهل السنة بأهل السنة، الشيخ عبد المحسن العباد (ص ٤٨).

التوجيه لهم، فأجابت اللجنة بجواب ملخصه: أن الواجب على المسلمين التراحم فيما بينهم والتآخي، وترك التفرق والاختلاف امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقد ساءنا ما نسمع مما يحصل بين طلبة العلم وحملة الدعوة من وحشة واختلاف، مما ترتب عليه اشتغال بعضهم ببعض تجريباً وتحذيراً وهجرًا، وربما لجأ بعضهم إلى الدخول في النيات، واتهام أخيه بما سكت عنه أو صرح بخلافه والواجب التواد والتراحم فيما بينهم، ووقوفهم صفاً واحداً في نشر العلم والدعوة للحق بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يكونوا فيما بينهم متآلفين متراحمين، وعلى طالب العلم أن يلتمس لأخيه العذر فيما صدر منه فإن موقف أهل السنة من العالم إذا أخطأ أنه يعذر فلا يبدع ولا يهجر ولا يعنت بالبحث في النيات ولكن يحسن الظن به وينصح برفق ولين^(١).

فحري بطالب العلم أن يستعمل لسانه في مرضاة الله وذكره، وأن يكفه عما لا يحل من القول خاصة الوقوع في أعراض العلماء والدعاة إلى الله.



(١) ينظر فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالأمانة العامة لهيئة كبار العلماء بالملكة العربية السعودية رقم

(٢٧٠٣٧) وتاريخ ٢١/٢/١٤٣٨ هـ.

الدرس الخامس: آداب طالب العلم مع شيوخه وأساتذته

ينبغي لطالب العلم أن يُعنى عناية تامة بحسن علاقته مع مشايخه وأساتذته
ومن ذلك:

١. حسن الخلق والتأدب مع المعلم:

ينبغي لطالب العلم أن يكون حسن الخلق مع شيخه ومعلمه، وأن يعتني بالتأدب في الجلوس بين يديه، وتوقيره وتبجيله واحترامه، سواء في مجلس العلم أو خارجه؛ فإن احترامه وتبجيله من احترام وتبجيل العلم، قال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ: «وليكن شيخك محل إجلال منك وإكرام وتقدير وتلطف، فخذ بمجامع الآداب مع شيخك في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال، والاستماع، وترك التطاول والمهارة أمامه، وعدم التقدم عليه بكلام أو مسير أو إكثار الكلام عنده، أو مداخلته في حديثه ودرسه بكلام منك، أو الإلحاح عليه في جواب، متجنباً الإكثار من السؤال لا سيما مع شهود الملاء، والتزم توقير المجلس، وإظهار السرور من الدرس والإفادة به»^(١).

٢. خدمة الشيخ والدعاء له:

ينبغي لطالب العلم بذل الجهد في خدمة شيخه وأستاذه، كما ينبغي له العناية بالدعاء له في ظهر الغيب فهو صاحب فضل عليه، كما ينبغي له كذلك مراعاة حقه في ذريته وأقاربه من بعده.

(١) ينظر حلية طالب العلم، د. بكر أبو زيد (ص ٢٥).

٣. حضور الذهن وحسن الإصغاء إلى الشيخ:

ينبغي لطالب العلم أن يكون حاضر الذهن بكامل حواسه في درسه عند شيخه، ولا يقصر في الإصغاء فيتشاغل بفكر أو حديث أو نحو ذلك فعن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لابنه: يَا بَنِي إِذَا جَالَسْتَ الْعُلَمَاءَ فَكُنْ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ وَتَعْلَمَ حَسَنَ الصَّمْتِ وَلَا تَقْطَعْ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثًا وَإِنْ طَالَ حَتَّى يَمْسُكَ^(١).

٤. حفظ عرض الشيخ والذب عنه:

على طالب العلم كذلك أن يحفظ عرض شيخه فلا يقع في غيبة شيخه وأستاذه الذي تفضّل عليه بتعليمه وتأديبه، بل ينبغي عليه أن يعرف لشيخه حرمة و قدره فيرد غيبته ويغضب لها، فإن عجز عن ذلك قام وفارق ذلك المجلس^(٢).



(١) ينظر جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر (١/١٣٠).

(٢) ينظر تذكرة السامع والمتكلم، بدر الدين ابن جماعة (ص١٣٩).

أسئلة الوحدة الأولى

١. اذكر ثلاثة أدلة من القرآن وأخرى من السنة على فضل العلم.
٢. اذكر خمسة محاور تبين فضل العلم مع الدليل.
٣. عدد آداب طالب العلم في نفسه.
٤. اذكر دليلين من القرآن وآخرين من السنة تبين فضل الإخلاص.
٥. بين قيمة الاستقامة في طلب العلم، وما أثر الذنوب مع ذكر الدليل؟
٦. اذكر دليلين على قيمة اقتران العلم بالعمل.
٧. ما قيمة الوقت في حياة طالب العلم مع ذكر الدليل؟
٨. ما مفسدات القلب الخمسة؟
٩. ما أهم الساعات الثلاث التي ينبغي لطالب العلم المحافظة عليها؟
١٠. اشرح عبارة: «لا نجاح إلا في اليقظة».
١١. ما آداب طالب العلم في درسه؟
١٢. ما الأمور الثلاثة التي يتضمنها الإعداد للدرس؟
١٣. ما متطلبات مهارة التركيز في الدرس العلمي؟
١٤. ما آداب طالب العلم مع زملائه؟
١٥. وضح مكانة اختيار الزميل الصالح مدلاً على ما تقول من الكتاب والسنة مع ذكر شيء من حقوق الأخوة في الله.
١٦. بيّن خطر النزاع والاختلاف والفرقة بين طلاب العلم مع ذكر قول العلماء في ذلك.
١٧. ما آداب طالب العلم مع شيخه وأستاذه؟

الوحدة الثانية

المدخل

إلى الثقافة الإسلامية

❖ **الدرس الأول: مفهوم الثقافة الإسلامية.**

❖ **الدرس الثاني: أهداف الثقافة الإسلامية.**

❖ **الدرس الثالث: مصادر الثقافة الإسلامية.**

❖ **الدرس الرابع: خصائص الثقافة الإسلامية.**

الدرس الأول: مفهوم الثقافة الإسلامية

الثقافة كلمة يراد بها الأخذ من كل علم بطرف؛ ولذا يقال: تعلم شيئاً عن كل شيء لتكون مثقفاً، وتعلم كل شيء عن شيء لتكون عالماً.

الثقافة في اللغة: تأتي بمعان متعددة منها:

١. الحذق، والفتنة والذكاء.
٢. سرعة التعلم والضبط.
٣. التهذيب والتأديب نقول ثقف المعلم الطالب.
٤. تقويم المعوج من الأشياء، نقول ثقف الصانع الرمح.
٥. إدراك الشيء والظفر به^(١)، قال الله تعالى: ﴿وَأَقْلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: ٩١].

وهناك استعمالان لكلمة الثقافة في المعاجم اللغوية:

الأول: مادي محسوس، وأصله الثقاف وهي حديدة يقوم بها الشيء المعوج.
الثاني: معنوي غير محسوس، يتصل بالحذق والتعلم، كقولهم: تثقيف العقول، وثقيف الإنسان: بمعنى تأديبه وتهذيبه وتعليمه.

الثقافة في الاصطلاح:

تعرف الثقافة اصطلاحاً بمعان عديدة من أهمها ما يأتي:

١. مجموعة الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته.

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ث ق ف) (١٩/٩)، القاموس المحيط، الفيروز أبادي، (١٢٥/٣).

٢. العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الخدق فيها^(١).

٣. أسلوب الحياة السائد في مجتمع من المجتمعات^(٢).

والثقافة الإسلامية اصطلاحاً هي: العلم والعمل والفكر والسلوك القائم

على الإسلام وتعاليمه وتوجيهاته^(٣).

والإنسان منذ ولادته ينشأ على حياة وثقافة بيئته ومجتمعه وتتكون عاداته وتقاليدته تبعاً لذلك جاء في الحديث: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»^(٤)، فالمولود خامة نظيفة طاهرة ليس فيها دنس الشرك والذنوب والمعاصي، ولكن الوالدان يغرسان فيه عقيدتهما وأسلوب حياتهما.



(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (١/٩٨).

(٢) الموسوعة العربية الميسرة، شفيق غربال وآخرون (ص٣٩).

(٣) الثقافة الإسلامية، د. صالح ذياب الهندي (ص١٩).

(٤) متفق عليه: البخاري: باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصل عليه، ح(١٣٥٨)، مسلم: باب

معنى كل مولود يولد على الفطرة، ح(٢٦٥٨).

الدرس الثاني: أهداف الثقافة الإسلامية

تهدف الثقافة الإسلامية إلى بناء الشخصية المسلمة المتكاملة في إيمانها وعبادتها وسلوكها وأخلاقها من خلال ما يأتي:

١. تقديم تصور شامل للإسلام كمنهج حياة كامل في جميع تفاصيلها وجوانبها وتظهر آثارها على أخلاقه وتعاملاته، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].
٢. تعريف المسلم بالعتيدة الصحيحة وأصول الدين والإيمان.
٣. تبصير المسلم بما يحتاج من أمور دينه، في عبادته ومعاملاته وأخلاقه.
٤. تعزيز الهوية الإسلامية، والانتماء للإسلام، وتقديمه على أي انتماء آخر، قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].
٥. تبصير المسلم بالتحديات الثقافية والفكرية وأخطار الغزو الفكري.
٦. تطبيق الأخلاق والقيم الإسلامية كسلوك دائم.
٧. بيان موقف الإسلام من النوازل والقضايا المعاصرة^(١).



(١) ينظر معالم الثقافة الإسلامية، د. محمد الجمعان (ص ٩).

الدرس الثالث: مصادر الثقافة الإسلامية

المصدر الأول: القرآن الكريم:

القرآن الكريم أكبر منةٍ امتن الله تعالى بها على هذه الأمة، ففيه حياة القلوب، ولم تظفر الدنيا كلها بكتاب أجمع للخير كله، وأهدى للتي هي أقوم، وأوفى بما يُسعد الإنسانية، من هذا القرآن المجيد الذي فتح الله به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلغلاً، وهدى به من الضلالة وبصر به من العمى وأخرج به من الظلمات إلى النور، هذا الكتاب العظيم الذي ضمن للإنسانية الأمن والسعادة في دنياهم وأخراهم، إذا هم آمنوا به وتلوه حق تلاوته، وتفهموا سوره وآياته، ووقفوا عند حدوده وأتمروا بأوامره، وانتهوا بنواهيهِ، وتخلقوا بأخلاقه، وطبقوا مبادئه ومثله وقيمه على أنفسهم وأهليهم ومجتمعاتهم.

فالقرآن هو: كتاب الله الذي منه بدأ وإليه يعود، نزل به الروح الأمين على قلب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلسان عربي مبين، وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿﴾ [فصلت: ٤٢، ٤١]، كما وصفه -جلت قدرته- بقوله: ﴿الرَّكِيبُ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿﴾ [هود: ١].

وآيات القرآن الكريم في غاية الدقة والإحكام، والوضوح والبيان، أحكمها الحكيم، وفصلها الخبير، وسيظل هذا الكتاب معجزاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لم يتطرق إليه أدنى شيء من التحريف^(١)؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿﴾ [الحجر: ٩].

(١) ينظر فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (٣/٣٤٩).

والقرآن الكريم هو المصدر الأول للثقافة الإسلامية فهو كتاب الله الخالد، ومعجزة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومصدر التشريع، ودستور الأمة الإسلامية، وهو كلام الله، نزل به جبريل الأمين عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قَلْبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَاظِ عَرَبِيَّةٍ وَهُوَ الْمَدُونُ فِي الْمَصَاحِفِ، الْمَحْفُوظُ فِي الصُّدُورِ، الْمَتَعَبَدُ بِتِلَاوَتِهِ، الْمَنْقُولُ إِلَيْنَا نَقْلًا مُتَوَاتِرًا بِطَرِيقِ الْمَشَافِهَةِ وَبَطَرِيقِ الْكِتَابَةِ.

والقرآن الكريم كتاب هداية ورحمة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

[الأعراف: ٥٢].

والقرآن تنفقاء وثبات:

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ

إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

والقرآن نور وضياء:

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

نزل مفرقاً على ثلاثة وعشرين عاماً، بشيراً ونذيراً، جمع بين التوازن والانسجام والشمول؛ إذ شمل جميع احتياجات الإنسان ونظمه التي تسير حياته في مجالات الحياة المختلفة في الاقتصاد والاجتماع والحرب والسلم والأخلاق والعبادات والمعاملات.

ففي النظام الاقتصادي: نفق على آيات منها: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ

الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥]، وقوله:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وفي العدل: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

وفي الطاعة والانضباط: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

وفي الشورى: قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

وفي المعاملات والأخلاق: قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

جمع القرآن الكريم:

مر جمع القرآن في مصحف واحد بثلاث مراحل كما يأتي:

المرحلة الأولى: في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وكان جمع القرآن في العهد النبوي على طريقتين:

الأولى: جمع القرآن في صدور الصحابة حيث كان الكثير من الصحابة يحفظون القرآن.

والثانية: كتابة القرآن في صحف متفرقة حيث كان الصحابة يكتبون القرآن بأمر الرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على العصب وهي: جريد النخل، وعلى اللخاف وهي: الحجارة الرقيقة، وعلى الرقاع وهي: الأوراق، وقطع الأديم وهي: الجلد، وعظام الأكتاف، والأضلاع، ثم يوضع المكتوب في بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

وهكذا انقضى عهد النبوة ولم يجمع القرآن في صحف ولا في مصاحف، بل كتب
منثورًا بين الرقاع والعظام ونحوها.

ولم يجمع القرآن في مصحف واحد في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الكثير من
الصحابة كانوا يحفظون القرآن في صدورهم وكانت الفتنة في تحريف القرآن مأمونة،
يضاف إلى ذلك قلة توفر أدوات الكتابة في العهد النبوي، كما أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ما شاء الله تعالى من الآيات فالقرآن لم ينزل
جملة واحدة، بل نزل منجمًا على مدى ثلاث وعشرين سنة حسب الحوادث.

المرحلة الثانية: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أشار عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بجمع القرآن لما
رأى كثرة من استشهد من الصحابة من حفاظ القرآن لكريم في الفتوحات فأمر
زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بجمع القرآن، فأخذ زيد يتبع القرآن من العسب واللخاف
وصدور الرجال فجمع القرآن كله في مصحف، فكانت هذه الصحف عند
الصديق حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى مات ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله
عنهم جميعًا. قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أعظم الناس أجرًا في المصاحف: أبو
بكر، فإنه أول من جمع القرآن بين اللوحين.

المرحلة الثالثة: جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أخبر حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بوقوع
الاختلاف في قراءة القرآن بين القراء في الأمصار مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية،
فجمع عثمان المهاجرين والأنصار، وشاورهم في جمع القرآن في المصاحف على
حرف واحد؛ ليزول الخلاف، وتتفق الكلمة، واستصوبوا رأيه، ورأوا أنه من

أحوط الأمور للقرآن، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، فأرسلت إليه، فأمر زيد بن ثابت، والرهط القرشيين الثلاثة فنسخوها في المصاحف، وبعث بها إلى الأمصار، وأمر بحرق ما سوى ذلك من المصاحف^(١).

وتبلغ عدد آيات القرآن الكريم ستة آلاف ومئتين وستاً وثلاثين آية، من دون البسملات، بينما يبلغ عدد سورته مائة وأربع عشرة سورة، تنتظم في ثلاثين جزءاً.

المصدر الثاني: السنة النبوية:

السنة النبوية هي أقوال الرسول الكريم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأفعاله وتقريراته، وفيها بيان للقرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فالنص القرآني قد يكون مجملاً أو مبهماً أو مطلقاً، فتكون السنة بياناً للمجمل، وتوضيحاً للمبهم، وتخصيصاً للعام، وتقييداً للمطلق، ومثال ذلك: جاء الأمر بالصلاة والزكاة مطلقاً عاماً ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، فبين الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعداد الصلوات وركعات كل صلاة، وأوقاتها، وكيفياتها، وكذلك الحال بالنسبة للزكاة بين مقاديرها وشروطها وأصنافها ومستحقيها^(٢).

والسنة ردة القرآن وظهيره؛ لأنها إما مقررة ومؤكدة لما جاء فيه؛ وإما مبينة ومفسرة له، فالسنة النبوية هي الصورة العملية التي طبق بها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسلام.

بدأ تدوين السنة الشريفة في حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقد كان من أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مَنْ يَكْتُبُ وَيُحَدِّثُ بِمَا كَتَبَ، وفي مقدمتهم أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعبدالله بن

(١) المصاحف، ابن أبي داود (ص ٢٥).

(٢) ينظر نحو ثقافة إسلامية أصيلة، د. عمر الأشقر (ص ١٩٥).

عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ وكان أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: ما من أحد من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ فإنه كان يكتب ولا أكتب، وكان عبدالله بن عمرو بن العاص يكتب كل شيء يسمعه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنهته قريش؛ لأنه كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يتكلم في الرضا والغضب، فذكر ذلك للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «اكتب، فوالذي نفسي بيده، ما خرج مني إلا حق»^(١).

وأشهر كتب الحديث ما يأتي:

١. صحيح البخاري:

أصح كتب الحديث هو: صحيح البخاري واسمه الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ)، وهو أول ما صنف في الحديث الصحيح صنفه على أبواب الفقه، وقد احتل صحيح البخاري المكان الأول بعد القرآن الكريم، فعكف الناس على دراسته وحفظه وشرحه، وجملة أحاديث البخاري سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً بالمكررة، وبحذف المكررة أربعة آلاف.

٢. صحيح مسلم:

وهو الجامع الصحيح لحجة الإسلام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٠٤-٢٦١هـ) وقد صنفه على أبواب الفقه وقد احتل المنزلة الثانية بعد صحيح البخاري، وجملة أحاديث صحيح مسلم اثنا عشر ألفاً بالمكررة، وبحذف المكررة نحو أربعة آلاف.

(١) مسند أحمد ح (٦٨٠٢).

٣. سنن أبي داود:

سنن أبي داود للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ) صنفه على أبواب الفقه واقتصر فيه على السنن والأحكام.

٤. سنن النسائي:

سنن النسائي للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٢١٥-٣٠٣هـ) وهو أقل كتب السنن حديثاً ضعيفاً.

٥. سنن الترمذي:

الجامع الصحيح للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩-٢٧٩هـ) وقد صنفه على أبواب الفقه وقد أخرج فيه الحديث الصحيح والحسن والضعيف والغريب والمعلل وكشف علته.

٦. سنن ابن ماجه:

للإمام أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (٢٠٩-٢٧٣هـ) ولم يلتزم فيه الصحيح ففيه الصحيح والحسن والضعيف، وفيه أحاديث لم تخرج في الصحيحين والسنن ولهذه الميزة ضمه العلماء إلى الكتب الستة.

٧. موطأ مالك:

للإمام أبي عبدالله مالك بن أنس بن مالك الحميري (٩٣-١٧٩هـ) ويعد كتاب الموطأ من أول كتب الحديث في المدينة المنورة ولم يقتصر فيه على الحديث النبوي المرفوع إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل ذكر فيه أقوال الصحابة والتابعين^(١).

(١) لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، د. محمد الخطيب (ص ١٧٨-١٨٠).

المصدر الثالث: الفقه الإسلامي:

الفقه الإسلامي له مادة ضخمة، في قسميه العبادات والمعاملات، فالعبادات تشمل: الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والנדور والجهاد والأطعمة والأشربة والصيد والذبائح وغيرها.

والمعاملات تشمل: الزواج والطلاق والعقوبات والبيوع والقرض والمزارعة والإجارة والشفعة والوكالة والهبة والحجر والقضاء والأوقاف والوصية وغيرها.

والمذاهب الفقهية المشهورة أربعة: الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي، وقد أجمعت الأمة على إمامة أصحابها والمذاهب متفقة على الأصول الفقهية، مع اختلاف في بعض الفروع، ويجدر التأكيد على طبيعة الخلاف بين الفقهاء الأربعة بأنه ليس خلافاً في العقيدة فهم متفقون فيها وليس خلافاً في أصول الاستدلال، وإنما هو خلاف في فهم النص، أو في درجة ثبوت الحديث، أو بسبب عدم بلوغه للإمام.

وأصحاب المذاهب بحسب ظهورهم بالترتيب هم:

الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠-١٥٠هـ / ٦٩٩-٧٦٧م)، ومذهبه الحنفي، تأسس المذهب في العراق ببغداد، وأبو حنيفة هو: أول الأئمة الأربعة، وهو التابعي الوحيد بينهم ولقي عددًا من صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمرجح أنه لم يلتق بأي من الأئمة الثلاثة الذين تلوه.

الإمام مالك بن أنس (٩٣-١٧٩هـ / ٧١٥-٧٩٦م)، ومذهبه المالكي، وتأسس المذهب في المدينة المنورة، والإمام مالك بن أنس هو شيخ الإمام الشافعي.

الإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ / ٧٦٦-٨٢٠م)، ومذهبه الشافعي، وتأسس المذهب في بغداد، ثم زاد فيه في مصر، وهو شيخ الإمام أحمد.

الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ / ٧٨٠-٨٥٥م)، ومذهبه الحنبلي،
وتأسس المذهب في بغداد.

المصدر الرابع: السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي:

السيرة النبوية هي تاريخ حياة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما تشمل من صفحات مشرقة وهي سيرة واضحة شاملة تضمنت أدق تفاصيل حياة نبينا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي مصدر مهم من مصادر الثقافة الإسلامية ويتبعها تاريخ أمة الإسلام والذي هو تجسيد لمسيرة الأمة وبيان المدى ارتباطها بمنهجها خاصة في عصورها النموذجية في عهد النبوة والخلافة الراشدة امتثالاً للتوجيه النبوي الكريم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»^(١).

والتاريخ رصد للمنجزات الحضارية والمسيرة العلمية: ففي صفحات التاريخ سير العلماء وعطاءهم العلمي، كما أن في التاريخ مجالاً لمعرفة الدروس والعبر والإفادة منها في الحاضر والمستقبل، فتاريخ أمة الإسلام كان فيه فترات قوة وانتشار، ورقى وازدهار، كما شهد فترات ضعف وانحسار، وأحياناً سقوط وانهيار وكل ذلك مجال للتعاط والاعتبار، وفي صفحات التاريخ دروس وعبر، وتجارب وفوائد، وأمة لا تقرأ تاريخها لا تعرف حاضرها ولا تتهيأ لمستقبلها:

اقرأ التاريخ إذ فيه العبر ضاع قوم ليس يدرون الخبر.

المصدر الخامس: اللغة العربية وآدابها:

اللغة العربية لغة القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢]، وقد اصطفى الله اللسان العربي ليكون وعاءاً لآخر رسالاته

(١) السنة للمروزي ح (٧٢) (١/٢٧).

للعالمين فقال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣]، وقال أيضاً: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طه: ١١٣]، وقال أيضاً: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴾ [الزمر: ٢٨]، هذا التأكيد القرآني لعربية القرآن فيه دلالة عظيمة على أثر اللغة العربية في الإسلام؛ لذا كانت العربية هي اللغة بها تؤدي الصلاة والأذان والعبادات، وهي وعاء جامع للشعوب التي اسلمت، فالارتباط وثيق بين الإسلام واللغة العربية.

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «تعلموا العربية فإنها تثبت العقول وتزيد في المروءة»^(١)، ويشير ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ إِلَى قيمة اللغة العربية وأثرها بقوله: «واعلم أن اعتبار اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين، تأثيراً قوياً بيناً، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد في العقل والدين والخلق»^(٢)، وهذا يؤكد قيمة تعلم اللغة العربية والعناية بها وبآدابها لما ينعكس على صاحبها من فصاحة اللسان، وبلاغة البيان وحسن تركيب الكلام، فضلاً عن فهم الدين وجمال الخلق.

ومن أبرز سمات اللغة العربية التي تكشف عن ثراء عطائها كمصدر للثقافة ثبات أصول وقواعد اللغة العربية وآدابها من خلال حفظ القرآن الكريم وهذه المزية جعلت اللغة ثابتة في أصولها مع تجدد عطائها، وتنوع آدابها^(٣).



(١) تاريخ عمر بن الخطاب، ابن الجوزي (ص ٢٢٢).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية (ص ٢٠٤).

(٣) ينظر دراسات في الثقافة الإسلامية، د. صالح ذياب (ص ٢٥).

الدرس الرابع: خصائص الثقافة الإسلامية

تميزت الثقافة الإسلامية بصفات مميزة لها عن غيرها انفردت بها ولم يشاركها فيها سواها ويمكن إنجازها في ست خصائص على النحو الآتي:

أولاً: الربانية:

من أبرز سمات الثقافة الإسلامية أنها ربانية الأصول في عقديتها وعبادتها ومعاملاتها وأخلاقها، فهي تعتمد على الوحي الإلهي متمثلاً في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وهي تختلف عن الثقافات الأخرى بشرية الأصول والتي يعترها النقص والتناقض قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، والمسلم لديه يقين جازم بأن هذه الثقافة تستند إلى الحق مستنيراً بقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة: ١٧٦].

وخصيصة الربانية تربط المخلوق بخالقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فغاية الإنسان الحصول على رضى الله واجتناب سخطه، مع إيقانه بأن الله عليم محيط بكل شيء قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [آل عمران: ٥]، وهذا اليقين يزرع في الإنسان رقابة ذاتية خوفاً من الله عَزَّوَجَلَّ.

كما أنها ثقافة موافقة للفطرة وتلبي احتياجات الإنسان قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ثانياً: الوسطية:

الثقافة الإسلامية ثقافة تتميز بالوسطية، فأمة الإسلام أمة وسطية قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فهي ثقافة وسط توازن بين احتياجات الجسد والروح وبين العمل للدنيا والسعي للآخرة ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص: ٧٧].

والوسطية تعني الاعتدال وعدم الإفراط والتفريط وإعطاء كل ذي حق حقه، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقال أيضاً: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩].

ثالثاً: الشمولية:

تميزت الثقافة الإسلامية بعنايتها بكافة جوانب الحياة قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩]، فقد شملت الاعتقاد والعبادة والأخلاق والمعاملات والتصور عن الكون والإنسان والخلق والحياة، والقضايا الكبرى وتجييب عن الأسئلة التي تشغل فكر الإنسان كمعرفة الخالق عَزَّجَلَّ، والغيبيات، وبداية الخلق ونهايته والآخرة، وتشمل كذلك الحكم والتشريع والأنظمة وجميع جوانب النشاط الإنساني، كما شمل خطابها جميع الأمم والأجناس، وهي صالحة لكل زمان ومكان وتصحب الإنسان من قبل ولادته وحتى مماته ومبعثه ومصيره يوم القيامة.

رابعاً: الواقعية:

الثقافة الإسلامية ثقافة واقعية تراعي طبيعة الإنسان البشرية، وأن الإنسان خلق ضعيفاً قال الله تعالى: ﴿وَحُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، فالإنسان ليس بمعصوم ومعرض للخطأ والصواب قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»^(١) قد يعترى إيمانه الضعف وقد يقترف المعاصي فباب التوبة مفتوح له، كما أنها ثقافة تراعي حال الإنسان في مراحل قوته وضعفه فشرعت قصر الصلاة والفطر في الصيام عند السفر، كما أنها ثقافة تقوم على العقائد والحقائق وتنبذ الخرافات والأوهام.

خامساً: الإيجابية:

إيجابية الثقافة الإسلامية تنطلق من دعوة الإسلام للعمل والجد، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، كما أنها تدعو لعمارة الأرض وإصلاحها ويشمل ذلك العمارة الحسية، والعمارة المعنوية المتمثلة بعبادة الله والإحسان للخلق كافة، وفي قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن قامت على أحدكم القيامة، وفي يده فسيلة فليغرسها»^(٢) صورة إيجابية للثقافة الإسلامية في الحث على البناء والإصلاح.

والثقافة الإسلامية نظرة إيجابية متفائلة للحياة؛ فالمسلم لا يقنط إذا أصابه ضرر أو وقعت له مصيبة قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته

(١) ابن ماجه: باب ذكر التوبة ح(٤٢٥١).

(٢) البخاري: الأدب المفرد: باب اصطناع المال، ح(٤٧٩).

ضراء، صبر فكان خيراً له»^(١). ولذا فالمؤمن متفائل على الدوام وهذا غير متوفر للثقافات الأخرى والتي يكثر فيها الانتحار بسبب القنوط واليأس^(٢).

سادساً: العالمية:

الثقافة الإسلامية ثقافة عالمية للبشر كافة قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث إلى الناس كافة»^(٣)، وهي ثقافة تنظر إلى الناس بمقياس واحد لا تؤثر عليه لغة أو جنس أو لون أو قبيلة أو شعب بل التفاضل فيها بالتقوى قال الله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].



(١) مسلم: باب المؤمن أمره كله خير، ح (٢٩٩٩).

(٢) ينظر معالم الثقافة الإسلامية، د. محمد الجمعان (ص ٢٠).

(٣) البخاري: باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ح (٤٣٨).

أسئلة الوحدة الثانية

١. ما تعريف الثقافة لغة واصطلاحًا؟ وما مفهوم الثقافة الإسلامية؟
٢. ما أهداف الثقافة الإسلامية؟
٣. ما مصادر الثقافة الإسلامية.
٤. ما خصائص الثقافة الإسلامية؟ مع الشرح وذكر الدليل.
٥. عرف القرآن الكريم باعتباره مصدرًا للثقافة الإسلامية.
٦. عرف السنة النبوية باعتبارها مصدرًا للثقافة الإسلامية.
٧. عرف الفقه باعتباره مصدرًا للثقافة الإسلامية.
٨. عرف السيرة والتاريخ باعتبارها مصدرًا للثقافة الإسلامية.
٩. عرف اللغة العربية باعتبارها مصدرًا للثقافة الإسلامية.
١٠. عرف بالكتب الستة وأصحابها.
١١. عرف بالمذاهب الفقهية وأصحابها حسب أقدميتها.



الوحدة الثالثة

العقيدة الإسلامية

❁ الدرس الأول: التوحيد.

❁ الدرس الثاني: الإيمان.

❁ الدرس الثالث: العبودية.

❁ الدرس الرابع: آثار العقيدة الإسلامية.

الوحدة الثالثة

العقيدة الإسلامية

العقيدة لغة: مأخوذة من العقد وهو الجمع بين أطراف الشيء على سبيل الربط والإبرام والإحكام والتوثيق.

والعقيدة الإسلامية اصطلاحاً: الإيمان الجازم بوجود الله وما يجب له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين.

ومن مسميات العقيدة: التوحيد، والإيمان، وأصول الدين.

وللعقيدة أثر كبير في حياة الإنسان، فالشرائع والمبادئ تبنى على العقائد، والبشر أسرى المعتقدات والأفكار، فالذين يعتقدون أن الله هو ربهم ومعبودهم، أقاموا حياتهم وفق شريعة الله، فهي تحكم تصرفاتهم وأعمالهم، والذين كفروا بالله، أقاموا حياتهم وفق معتقداتهم، ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجن: ٢٤].

والخلاف العقدي من أعظم الاختلافات؛ لذلك كانت أعظم مهات الرسل تصحيح عقائد البشر الزائفة، وتصحيح تصوراتهم عن الله والكون والحياة، إذ لما عبد البشر الأصنام والأوثان والقبور، جاءتهم رسالهم تردهم إلى الله مولاهم الحق، فنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ نهى قومه عن عبادة الأصنام والأوثان، ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣]، وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لقومه مناقشاً إياهم فيما يعبدون ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾ (٧٢) ﴿ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾

﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿الشعراء: ٧٢-٧٤﴾، وقال القرآن للعرب منكراً عليهم: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ﴿١١﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿النجم: ١٩-٢٢﴾، ونسب النصارى الولد إلى الله قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].



الدرس الأول: التوحيد

توحيد الله تعالى هو منطلق دعوة الرسل وأصله الأصيل الذي به البداية وإليه المنتهى، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فوظيفة الرسل وخلاصة رسالتهم هو توحيد الله واجتناب ما يُعبد من دونه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

والتوحيد هو:

إفراد الله بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وهو ثلاثة أقسام:

أولاً: توحيد الربوبية:

هو: اعتقاد تفرد الله في أفعاله، كالمملك والخلق والتدبير، قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٤]، وقد أقر به معظم البشر؛ ولذا فالإقرار به وحده لا يكفي بل لا بد أن يأتي بلازمه من توحيد الألوهية، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

ولتوحيد الربوبية قيمة خاصة في تأسيس توحيد الألوهية فمن رسخ يقينه بانفراده تعالى بصفات الربوبية توجه إليه بالعبادة والدعاء، قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

ثانياً: توحيد الألوهية:

هو إفراد الله بالعبادة، ودليله قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ٥ اهْدَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ [الفاتحة: ٥، ٦]، ويطلق عليه توحيد العبادة وتوحيد القصد والطلب.

ومما يجلي فضل توحيد الألوهية ويظهر منزلته العظيمة ما يأتي:

١. غاية خلق العالمين:

الغاية من خلق الثقلين تحقيق عبودية الله وتوحيده قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٢. دعوة الرسل أجمعين:

توحيد العبادة هو رسالة جميع الأنبياء للناس قال الله عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦]، وقال عن هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال عن شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٨٤]، وقال عن صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: ٤٥].

٣. أنه حق الله على خلقه أجمعين:

توحيد العبادة هو: أول ما يخاطب به الناس من أمور الدين، وهو ما أوصى به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: «يا معاذ، تدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حق الله على العباد أن

يعبدوا الله، ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله عزَّ وجلَّ أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»، قال: قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس، قال: «لا تبشرهم فيتكلموا»^(١).

٤. طريق للفوز في الدارين:

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٢)، «فهو أول واجب، وآخر واجب، فالتوحيد: أول الأمر وآخره»^(٣).

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:

وهو: أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صفات الكمال، ونعوت الجلال، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل^(٤). قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والاعتقاد الجازم بالعجز التام عن إدراك حقيقة ذات الله وكيفية صفاته امتثالاً لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].



(١) متفق عليه: البخاري: باب اسم الفرس والحمار، ح(٢٨٥٦)، ومسلم: باب من لقي الله بالإيمان وهو غير مشرك، ح(٣٠).

(٢) أبو داود: باب في التلقين، ح(٣١١٦).

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم (٤١٢/٣).

(٤) حاشية كتاب التوحيد (ص ١١).

الدرس الثاني: الإيمان

الإيمان هو: اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية^(١):

إيماننا قول وقصد وعمل تزيده التقوى وينقص بالزلل^(٢)

وأركان الإيمان ستة هي:

الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ولما سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الإيمان قال: «أَنْ تَوَافَّقَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَوَافَّقَ بِالقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(٣).

الركن الأول: الإيمان بالله:

يتضمن الإيمان بالله الاعتقاد الجازم والتصديق الكامل بوجوده تعالى، وأنه واحد لا شريك له في ذاته، وأنه وحده المنفرد بصفات الربوبية والألوهية، والمتّصف بصفات الجلال والكمال، والمنزه عن النقص بكل حال. ووجود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من أعظم الحقائق وضوحًا وظهورًا، ولكن العقل الإنساني قد يضل ويزيغ عن الحقائق الواضحة، وقد ادعى طوائف من البشر في القديم والحديث أن ليس لهذا الكون خالق، وأن الكون أزلي.

(١) لمعة الاعتقاد (ص ٢٦).

(٢) لوامع الأنوار البهية، السفاريني (١/٤٠٣).

(٣) متفق عليه: البخاري: باب سؤال جبريل، ح (٥٠)، ومسلم: باب معرفة الإيمان، ح (٨).

ومن أسباب عدم معرفة الله والإلحاد والشرك والكفر هو المؤثرات الخارجية التي تطرأ على الفطرة الإنسانية، ومنها إضلال الشياطين، ففي الحديث القدسي قال الله تعالى: «خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين، فأضلّتهم عن دينهم»^(١)، والبيئة المنحرفة تعمل كذلك في إضلال الفطرة السليمة، ففي الحديث: «ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه»^(٢).

وطريقة القرآن في الدلالة على وجود الله، لا تتوقف على الاستدلال الخبري، بل تُقدم الأدلة العقلية السهلة الإدراك البعيدة عن التعقيد، ومن ذلك ما يأتي:

﴿ دلالة الآيات الكونية: ﴾

الآيات الكونية تدل على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كما يدل ضوء الشمس على الشمس، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]، وقال أيضًا: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١٩٠﴾﴾ [إبراهيم: ١٩٠].

﴿ دلالة الفطرة: ﴾

يجعل القرآن التوجه إلى الله وحده، وعبادته لا شريك له، قضية فطرية مغروسة في أعماق النفس الإنسانية، وإذا كان توحيد الله أمرًا فطريًا، فمعرفة من باب أولى

(١) مسلم: باب الصفات التي يعرف بها.. ح (٢٨٦٥).

(٢) البخاري: باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، ح (١٣٥٨).

قال الله تعالى: ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

دلالة الآيات المعجزة:

من الأدلة على وجود الله ما أجرى الله على يد رسله وأنبيائه من آيات بينات ومعجزات، كالعصا التي تحولت إلى ثعبان مبین، واليد التي تخرج بيضاء من غير سوء، وعدم إحراق النار لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإحياء عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الموتى، وانشقاق القمر لرسولنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكل هذه الآيات تدل على أن لها خالقاً قديراً عليماً.

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة:

الملائكة عالم غيبي، خلقهم الله من نور لعبادته، ومنحهم قوى عظيمة لتنفيذ أمره، قال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

ويتضمن الاعتقاد الجازم بوجودهم إجمالاً، وبما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة من صفاتهم وأعمالهم تفصيلاً، والإيمان بمن ورد ذكر اسمه وعمله منهم على وجه الخصوص من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف.

ومن أنكر وجودهم وكذب بهم فقد كذب بصريح القرآن، وهو كفر بإجماع المسلمين، ولهم صفات كثيرة منها: أنهم أولو أجنحة وخلق عظمة، ولهم القدرة على التشكل والتمثل بصورة البشر، وأعدادهم كثيرة لا يحصيها إلا الله، وهم مفطورون على العبادة ومعصومون عن الخطأ، ولهم أعمال كثيرة، ومن أمثلة ذلك:

جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو: الموكل بالوحي ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ

الْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٢، ١٩٣].

وميكائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو: الموكل بالقطر، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أما ميكائيل فموكل بالقطر، والنبات، وهو ذو مكانة من ربه عَزَّجَلَّ، ومن أشرف الملائكة المقربين»^(١).

وإسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو الموكل بالنفخ في الصور، فعن أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدْ التَّقَمَ الْقُرْنِ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ»، فكانَ ذلك ثَقُلَ على أصحابِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لهم: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا»^(٢)، قال ابن كثير: «إسرافيل موكل بالنفخ في الصور للقيام من القبور، والحضور يوم البعث والنشور»^(٣).

وملك الموت عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو الموكل بقبض الأرواح قال تعالى: ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي نُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

ومالك عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو خازن النار قال تعالى: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكِهِمْ لِيَقْضِيَ عَلَيْهِمُ تَارِكًا قَالَ إِنَّا لَهُمْ مَلَائِكَةٌ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وخزنة الجنة وهم القائمون عليها قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وخزنة النار وهم القائمون عليها قال الله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨].

(١) البداية والنهاية، لابن كثير (١/١٠٥).

(٢) الترمذي: باب ما جاء في شأن الصور، ح (٣٤٣١).

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير (١/١٠٥-١٠٦).

وحملة العرش وهم الموكلون بعرش الرحمن قال تعالى: ﴿وَأَمْلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّنِينٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

الركن الثالث: الإيمان بالكتب:

وهو التصديق الجازم بما أنزل الله عزَّجَلَّ على رسله من الكتب، وأنها كلام الله، تكلم بها سبحانه كيف شاء، فيها الرحمة والهداية للعباد^(١). قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

والإيمان بالكتب السماوية يتضمن ما سماه الله لنا من كتب وهي التوراة والإنجيل والزرور وصحف إبراهيم وموسى وخاتمها القرآن الكريم قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣]، وقال أيضًا: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، وقال كذلك: ﴿إِنَّ هَذَا لَنَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ (١٨) ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

والكتب السماوية مصدرها واحد فهي كلام الله ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]، وغاية إنزالها عبادة الله وحده قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، كما أنها دعت إلى مكارم الأخلاق والعدل والقسط بين الناس وأداء الحقوق ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، كما أن بينها اختلافًا في تفاصيل الشرائع ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

(١) معارج القبول، حافظ الحكمي (٢/٦٧٢).

الركن الرابع: الإيمان بالرسول:

ويتضمن التصديق الجازم بأن الله أرسل في كل أمة رسولا منهم يدعوهم لعبادته، وأيدهم بالبراهين الظاهرة، فبلغوا البلاغ المبين.

اختص الله الرسل بوحيه واصطفاهم برسالته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ويتضمن الإيمان بهم جميعاً من عرفنا منهم، ومن لم نعرف قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، والإيمان بمن ورد ذكرهم وخبرهم في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة، وعدد من ورد ذكرهم في القرآن خمسة وعشرين نبياً هم: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وشعيب، وذو الكفل، وموسى، وهارون، ويونس، وداود، وسليمان، وأيوب، وإلياس، واليسع، وزكريا، ويحيى، وعيسى، ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأول الأنبياء آدم، وأول الرسل نوح، وأولو العزم خمسة هم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ورسولنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، بُعث إلى الثقلين الإنس والجن، وقد فضله الله على سائر الأنبياء والمرسلين، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»^(١).

(١) مسلم: باب تفضيل نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح (٢٢٧٨).

ما الفرق بين النبي والرسول؟

الرسول: من بعث بشرع جديد، وأنزل إليه كتاب.

والنبي: من بعث في قوم مؤمنين، أو لتقرير شرع من قبله^(١).

ولا يعتبر المسلم مسلماً حتى يؤمن بالرسول إجمالاً، وبمن سمى الله منهم تفصيلاً، ولا يفرق بين أحد منهم في الإيمان، ﴿ءَاْمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۗ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاْمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۗ لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۗ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

هو الاعتقاد الجازم بفناء الحياة الدنيا وزوالها، وما ثبت في الشرع الحنيف مما يقع بعد الموت من القبر وفتنته، والبعث والحشر والحساب ثم الثواب والعقاب، وسمي بذلك؛ لتأخره عن الدنيا؛ ولأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم^(٢).

والإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان، فمن كذب به كفر، وهو من أكثر أركان الإيمان ذكراً في القرآن قال تعالى: ﴿مَنْ ءَاْمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

وقد سمى الله اليوم الآخر بأسماء كثيرة منها: يوم القيامة، يوم الوعيد، يوم الحسرة، يوم التلاق، يوم الدين، يوم التغابن، الحاقة، الطامة، الصاخة، الزلزلة، القارعة، الواقعة.

(١) ينظر الفرق بين الفرق (ص ٣٣٢).

(٢) ينظر شرح ثلاثة الأصول (ص ١٠٠).

ويتضمن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بحياة البرزخ وفتنة القبر ونعيمه وعذابه، ويتضمن الإيمان بالبعث بعد الموت ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ (٥١) قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿[يس: ٥١، ٥٢]، ويتضمن بما يكون في يوم القيامة من الجزاء والحساب، وتناول صحائف الأعمال، والميزان، والصراط، والحوض، وشفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والجنة وما فيها من نعيم والنار وما فيها من أهوال وعذاب.

الركن السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره:

القدر هو: «علم الله، وكتابته المطابقة لمشيئته وخلقته» وهذا التعريف انتظم أركان الإيمان بالقدر، ومراتب الإيمان بالقدر، ودرجات الإيمان بالقدر^(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

ويتضمن الإيمان بالقدر الاعتقاد الجازم أن الله تعالى علم علماً محيطاً شاملاً لكل شيء، وأن مشيئته تعالى نافذة، وقدرته كاملة، قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وقال أيضاً: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣]، قال ابن كثير: أي أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها، وتقديرنا الكائنات قبل

(١) ينظر شرح العقيدة الواسطية، خالد المصلح (٢١/٣).

وجودها، لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم، وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم، فلا تأسوا على ما فاتكم، فإنه لو قدر شيء لكان.

أثر الإيمان بالقدر :

الإيمان بالقدر نظام التوحيد وهو سكينه للنفس وراحة للبال فهو يذهب وساوس الشيطان الموجبة للهم والحزن والندم على تعاطي الأسباب الدافعة لوقوعها، وهو ينفي الخوف والحزن، وفي الحديث قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عجباً للمؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»^(١)، فالعبد إذا استخار الله عَزَّوَجَلَّ فينبغي له أن يرضى لما اختاره له من موافق لهواه أو مخالف له؛ لأنه لا يدري في أيها الخيره له والله سبحانه غير متهم في قضائه لمن استخاره.

أمرك الله أن تؤمن بالقدر حتى تطمئن ولا تضطرب وتحاف ولا تشتغل بما قد قضى وانتهى، إذ رُفِعَ القلم وطُويت الصحف بما هو كائن إلى يوم القيامة، فالإيمان بالقدر يُكسب الراحة والطمأنينة ويوفر طاقة العقل عن الاشتغال بما لا يمكن تداركه، كما أنه يُكسب الشجاعة فما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فتتظر فيما يُطلب منك فعله في الحال والاستقبال، ولا تلتفت إلى الوراء فتتظر إلى ما فاتك فإن هذا مشغلة بما لا يمكن أن يُتدارك.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١] يعني: يهدي قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اليقين الإيمان كله».

(١) مسند أحمد: ح (٢٠٢٨٢).

إنك حين تقرأ وردك صباحًا ومساءً فتقول: «رضيت بالله ربًّا» توقن أن الله هو المتصرف في خلقه بما يشاء، فترضى بما يقع لك، وحين تقول عند نومك: «وفوضت أمري إليك» تعتقد اعتقادًا جازمًا وترضى رضاً كاملاً بالله الذي فوضته أمرك ووكلته في شأنك، فلا تستغرب ما يحصل لك ولا تضطرب بما يقع عليك مستعيناً بقوله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤].

دبر فليس بمغنٍ عنك تدبير ليس يعدوك بالتدبير تقدير
إن الأمور لها رب يدبرها فما قضى الرب ساقته المقادير

إن من الفضول التفكير بالخوف على النفس أو الخوف على الرزق ومن الفضول: فضول النظر إلى مالم تؤمر بالنظر إليه، وفضول الكلام بما لا ينفعك في دينك ودنياك، وفضول السمع بما لا يعود على قلبك بالصلاح، وفضول النوم بما لا يعينك على طاعة الله، وفضول المخالطة بمن لا تستفيد منه ولا تفيده، وفضول الطعام بما لا يحتاج إليه جسدك.

فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله تعالى، فالتوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين قال بعض السلف: «من خاف الله خافه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء»، فإن كان الله معك فممن تخاف؟! وإن كان عليك فمن ترجو؟! قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧]، وفي الحديث: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك»^(١).

(١) الترمذي: ح (٢٥١٦).

الدرس الثالث: العبودية

١. العبودية غاية الخلق:

العبادة هي الغاية المحبوبة لله، التي خلق الخلق لها قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، كما ذم الله المستكبرين عن عبادته بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

وبها أرسل جميع الرسل حيث قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال هود وصالح وشعيب وغيرهم لأقوامهم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ [النحل: ٣٦].

وجعل ذلك لازماً لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الموت فقال: ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩].

٢. ثناء الله على أنبيائه بالعبودية:

وصف الله أنبيائه بالعبودية فقال عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣]، وقال عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ [ص: ٤٥]، وقال عن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِي إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ١٧]، وقال عن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ ﴾ [ص: ٤١]، وكذلك الحال مع بقية الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ووصف الله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعبودية في أشرف المواطن والمقامات:

✻ في الإسراء والمعراج بقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

✻ وفي الوحي بقوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

✻ وفي الدعوة بقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

كما وصف الله عباده الصالحين كذلك بالعبودية فقال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]، وقال أيضًا: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

٣. التفاضل بالعبودية لله:

الناس يتفاضلون في تحقيق العبودية تفاضلاً عظيماً، وهو تفاضلهم في حقيقة الإيمان، فكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته، لقضاء حاجته ودفع ضرورته، قويت عبوديته له وحرите مما سواه وإعراض قلبه عن الطلب من الله والرجاء له، يوجب انصراف قلبه عن العبودية لله لا سيما من يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق؛ بحيث يكون قلبه معتمداً إما على رئاسته وجنوده وأتباعه، وإما على أهله وأصدقائه، وإما على أمواله وذخائره، وإما على ساداته وكبرائه ممن هو قد مات أو يموت قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُذُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

فكل من علّق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه أو يهدوه، خضع قلبه لهم، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك، وإن كان في الظاهر أميراً لهم مُدبِّراً

لأمورهم مُتصرفاً بهم، فالعاقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر، ولهذا يُقال:

العبدُ حُرٌّ ما قنعَ والحرُّ عبدٌ ما طمعَ
فاقنعَ ولا تطمعَ فما شيءٌ يشينُ سوى الطَّمعِ^(١)

فالطمع فقرٌ، واليأس غنىٌّ، وهذا أمرٌ يجده الإنسان من نفسه، فإن الأمر الذي ييأس منه لا يبقى قلبه فقيراً إليه، ولا إلى من يفعله وأما إذا طمع في أمرٍ من الأمور ورجاه، فإن قلبه يتعلق به، فيصير فقيراً إلى حصوله، وإلى من يظن أنه سببٌ في حصوله، وهذا في المال والجاه والصور وغير ذلك، قال الله تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، فالعبد لا بد له من رزقٍ، وهو محتاجٌ إلى ذلك، فإذا طلب رزقه من الله صار عبداً لله فقيراً إليه، وإذا طلبه من مخلوق صار عبداً لذلك المخلوق فقيراً إليه؛ ولهذا كانت مسألة المخلوق مُحَرَّمَةً في الأصل، وإنما أُبيحت للضرورة، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مُرَعَةٌ من لحم»^(٢)، وقال أيضاً: «من يستغنٍ يُغنيه الله، ومن يستعِفِ يُعِفَّهُ اللهُ، ومن يتصَبَّرِ يُصَبِّرْهُ اللهُ»^(٣)، وقال كذلك: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»^(٤)، وأوصى خواصَّ أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئاً قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من يتقبَّلُ لي بواحدةٍ تُقبِّلَتْ له بالجنةِ»، قال ثوبانُ: أنا يا رسول الله، قال: «لا تسأل الناس شيئاً» قال: فربَّما كان يسقطُ سوطُهُ وهو على البعير فلا يقول لأحدٍ ناولنيه حتى ينزلَ فيأخذه»^(٥).

(١) شرح الزرقاني على الموطأ، (٣/١٤٢).

(٢) مسلم: باب كراهة المسألة للناس، ح (١٠٤٠).

(٣) مسند أحمد: ح (١٥٣٢٦).

(٤) مسند أحمد: ح (٢٧٦٣).

(٥) شعب الإيمان، ح (٣٢٤٤)، (٥/١٦٥).

٤. أسْرُ القلبِ واستعبادُهُ:

أسْرُ القلبِ أعظم من أسْرِ البدن، واستعباد القلبِ أعظم من استعباد البدن، فإن من استُعِيدَ بدنه واستُرِقَ وأُسِرَ لا يبالي إذا كان قلبه مستريحًا من ذلك مطمئنًا، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص، وأما إذا كان القلب رقيقًا مستعبدًا، متممًا لغير الله، فهذا هو الذل والأسْر المحض.

وعبودية القلب وأسْرُه هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب؛ فإن المسلم لو أسره كافرٌ أو استرقه فاجرٌ بغير حقٍّ لم يضره ذلك، إذا كان قائمًا بما يقدر عليه من الواجبات، ولو أُكْرِهَ على التكلم بالكفر فتكلم به وقلبه مطمئنٌ بالإيمان لم يضره ذلك، وأما من استُعِيدَ قلبه فصار عبدًا لغير الله، فهذا يضره ذلك، ولو كان في الظاهر مَلِكِ الناسِ فالحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب وهؤلاء عشاق الصور من أعظم الناس عذابًا وأقلهم ثوابًا، فإن العاشق لصورةٍ إذا بقي قلبه متعلقًا بها مُستعبدًا لها، اجتمع له من الشر والفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد ومن أعظم أسباب هذا البلاء: إعراض القلب عن الله، فإن القلب إذا ذاق طعمَ عبادة الله والإخلاص له، لم يكن عنده شيءٌ قط أحلى من ذلك، والإنسان لا يترك محبوبًا إلا بمحسوبٍ آخر يكون أحبَّ إليه منه، أو خوفًا من مكروهه، فالحب الفاسد إنما ينصرف القلب عنه بالحب الصالح، أو بالخوف من الضرر قال تعالى: ﴿إِن يَصْطَلُوا تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٥. طالب العلو في الأرض عبد للدنيا:

طالب الرئاسة والعلو في الأرض، قلبه رقيق لمن يعينه عليها، ولو كان في الظاهر المطاع فيهم فهو في الحقيقة يرجوهم ويخافهم، فيبذل لهم الأموال والولايات، ويعفو عما يجترحونه ليطيعوه ويعينوه؛ فهو في الظاهر رئيسٌ مُطاعٌ، وفي الحقيقة عبدٌ مطيع لهم والتحقيق أن كليهما فيه عبوديةٌ للآخر، وكليهما تاركٌ لحقيقة عبادة الله، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد القטיפفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش إن أُعطيَ رضي، وإن مُنعَ سخط»^(١) فسماه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عبد الدرهم، وعبد الدينار، وعبد القטיפفة، وعبد الخميصة، والنقش إخراج الشوكة من الرجل، وهذه حال من إذا أصابه شرٌ لم يخرج منه ولم يفلح، لكونه لا نال المطلوب ولا خالص من المكروه وهذه حال من عبد الدنيا، أو كان متعلقاً برئاسةٍ أو بصورةٍ ونحو ذلك من أهواء نفسه، إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط فهذا عبدٌ ما يهواه من ذلك، وهو رقيقٌ له، إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو: رق القلب وعبوديته فما استرق القلب واستعبده؛ فالقلب عبده.

٦. الحب يحرك إرادة القلب:

الحب يحرك إرادة القلب فكلما قويت المحبة في القلب، طلب القلب فعل المحبوبات فإذا كانت المحبة تامةً استلزمت إرادةً جازمةً في حصول المحبوبات؛ فإذا كان العبد قادرًا عليها حصّلها، وإن كان عاجزًا عنها ففعل ما يقدر عليه من ذلك، كان له أجرٌ كأجر الفاعل كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من دعا إلى هدى كان

(١) البخاري: باب ما تبقى من فتنة المال، ح(٦٤٣٥).

له من الأجر مثل أجور مَنْ تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»^(١)، وقال أيضاً: «إن بالمدينة لرجالاً ما سرّتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم» قالوا: وهم بالمدينة؟ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وهم بالمدينة؛ حسبهم العُذر»^(٢).

ومعلوم أن المحبوبات لا تنال غالباً إلا باحتمال المكروهات، سواء كانت محبةً صالحة أو فاسدة، فالمحبون للمال والرئاسة والصور، لا ينالون مطالبهم إلا بضرر يلحقهم في الدنيا، مع ما يصيبهم من الضرر في الدنيا والآخرة.

فالقلب فقير إلى الله، وكلما ازداد القلب حباً لله؛ ازداد له عبوديةً وكلما ازداد له عبوديةً؛ ازداد له حباً وفضّله على ما سواه، والقلب فقير إلى الله بطبعه، فإنه لا يصلح، ولا يفلح، ولا ينعم، ولا يُسر، ولا يطيب، ولا يسكن، ولا يطمئن، إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات؛ لم يطمئن ولم يسكن إذ فيه فقرٌ ذاتيٌّ إلى ربه، من حيث هو معبوده ومحبوه ومطلوبه وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والطمأنينة.

٧. لا تتحقق العبودية إلا بمعونة الله:

لا يُعبد الله سبحانه إلا بمعونته، إذا تبين هذا؛ فكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية، ازداد كماله وعلت درجته، وهذا لا يحصل له إلا بإعانة الله له، فالمرء دائماً مفتقرٌ إلى حقيقة إياك نعبد وإياك نستعين، ولو سعى في عبادة الله، ولم يكن مستعيناً بالله متوكلاً عليه مفتقراً إليه في حصوله، لم يحصل له؛ فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ

(١) مسلم: باب من سن سنة حسنة، ح(٢٦٧٤).

(٢) مسلم: باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر، ح(١٩١١).

لم يكن، فهو مفتقرٌ إلى الله؛ من حيث هو المطلوب المحبوب، المراد المعبود، ومن حيث هو المسؤول المُستعان به، المُتوكَّل عليه فهو إله الذي لا إله غيره، وهو ربه الذي لا رب له سواه، ولا تتم عبوديته لله إلا بهذين، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿[الطلاق: ٣].

أوصى معروف الكرخي رجلاً، فقال: «توكل على الله حتى يكون أنسك وموضع شكواك، واجعل ذكر الموت جليسك، واعلم أن الفرج من كل بلاء كتمانته؛ فإن الناس لن يعطوك ولن يمنعوك، ولن ينفعوك، ولن يضررك إلا بما شاء الله لك، وقضاه عليك»^(١).



(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، يوسف النمري (١/٢٢٨).

الدرس الرابع: آثار العقيدة الإسلامية

للعقيدة الإسلامية آثار حميدة على الفرد والمجتمع، تظهر تلك الآثار في المحاور الآتية:

أولاً: آثار العقيدة الإسلامية على الفرد:

١. هداية العقل:

من أهم آثار العقيدة الإسلامية هداية العقل لله عَزَّجَلَّ، وإقامة البرهان على شرع الله، فلا قهر ولا إكراه في قبول الهدى، ومن هداية الوحي للعقل الإجابة على الأسئلة الكبرى في الحياة عن الوجود وخالقه والإنسان.

٢. سكينه النفس:

إن انشراح الصدر وطمأنينة القلب ثمرة حصول المعرفة الصحيحة بالله، فنفس لا إيمان فيها مضطربة قلقة يتوالى عليها الهم والغم، أما النفس المؤمنة الموحدة فقد اتحد لديها مصدر ورودها وصدورها في كل أمر ونهي، فهي تتلقى من الله وعن الله، وهي تسير إلى الله.

٣. استقامة السلوك:

الاعتقاد الصحيح يرتبط به العمل الصالح والسلوك المستقيم، ومن ثم تكرر في القرآن الربط بين الإيمان والعمل الصالح، والحق أن ثمرة الإيمان الخالص هي العمل الصالح على مراد الله ومراد رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤. الثبات في الشدائد:

الصعوبات في الحياة كثيرة، والابتلاءات عظيمة وذلك يواجه النفس البشرية ما يثبط عزيمتها، ويُسلمها إلى اليأس، والإيمان يبعث أنوار الأمل في ظلمة اليأس، فتشرق النفس بالطمأنينة رضا بالقضاء والقدر؛ إذ التوحيد والإيمان عصمة للقلب في الشدائد، وكما أن عقيدة التوحيد والفطرة من شأنها أن تثبت المؤمن في الشدائد، فإن الشدائد نفسها تجلو هذه العقيدة وتُذهب صداً القلوب الذي ينشأ عن الغفلة.

٥. الفوز في الآخرة:

أعظم فوز يحققه الإنسان في الآخرة النجاة من النار ودخول الجنة قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعٌ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، والجنة لا يدخلها إلا مؤمن موحد وإن ظلم نفسه بغير الشرك؛ ولذا فإن أهل التوحيد هم أكثر الناس حظاً يوم القيامة قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ثانياً: آثار العقيدة الإسلامية على المجتمع:

تتجلى آثار العقيدة الإسلامية في المجتمعات في النقاط الآتية:

١. تحقيق الأخوة الإيمانية والتعارف الإنساني:

جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تمام إيمان العبد وكمال معلقاً بمحبة المؤمنين ومحبة الخير لهم، قال رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١)، فمن أسس البناء العقدي للمجتمع التي وضعها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجعلها قرينة الإيمان بالله، محبة الخير للمسلم.

(١) متفق عليه: البخاري: باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ح (١٣)، ومسلم: باب الدليل على أن من خصال الإيمان، ح (٤٥).

٢. الانضباط المجتمعي:

للعقيدة الإسلامية أثرها الواضح في ضبط السلوك الإنساني وتقويم النزعات البشرية؛ فالعقيدة تربط أفعال العبد بالإيمان، وأعمال الطاعات كلها إيمان وهي سبب في زيادة رصيد الإيمان، وقد ارتبطت الأحكام الأخروية بالجزاء الدنيوي، فإن ارتكب العبد جناية في حق المجتمع فأفلت من عقوبة الدنيا المقدره؛ فإنه لن يفلت من عقوبة الآخرة.

٣. تحقيق الأمن:

البناء العقدي يولد مجتمعاً آمناً، يأمن فيه الفرد على نفسه وماله وعرضه، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

٤. تحقيق العدل:

إن الإيمان بالله وتوحيده يقيمان العدل في المجتمع العدل، والمؤمن يعلم أن الله تعالى هو العدل الحكيم أمر بالعدل وحذر من الظلم، وبين أن الظلم ظلمات يوم القيامة؛ ولذا فالعقيدة الإسلامية جاءت بتحقيق العدل الذي هو صمام الأمان في المجتمعات، وبه قامت السماوات والأرض، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

أسئلة الوحدة الثالثة

١. عرف العقيدة لغة واصطلاحًا، وما مسميات العقيدة الإسلامية؟
٢. ما الضوابط التي ينبغي الإحاطة بها في مسائل الاعتقاد؟
٣. عرف التوحيد وبين أقسامه مع ذكر ثلاثة أدلة لكل نوع.
٤. عرف الإيمان.
٥. ماذا يتضمن الإيمان بالله؟ وكيف يرد على من يزعم عدم وجود الله؟
٦. عدد أصناف الملائكة ووظائفهم مع ذكر الدليل.
٧. جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ موكل بالوحي والدليل قوله تعالى:
٨. ميكائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ موكل ب.....
٩. إسرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ موكل ب..... والدليل قوله تعالى:
١٠. عدد الكتب السماوية مع الدليل من القرآن.
١١. ما الدليل على إرسال الرسل ومن الأنبياء المذكورون في القرآن؟
١٢. ما الدليل على أن النبي محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو خاتم الرسل؟
١٣. ما الفرق بين الرسول والنبي؟
١٤. عدد عشرًا من أسماء اليوم الآخر.
١٥. اذكر دليلين من القرآن على الإيمان باليوم الآخر، ودليلين آخرين على حياة البرزخ.
١٦. عرف القدر واذكر دليلًا على الإيمان بالقدر.
١٧. ما أثر الإيمان بالقدر على المسلم؟
١٨. ناقش هذه العبارة: «الإيمان بالقدر يمنع جبن القلب والخوف من المخلوق».

١٩. اذكر أربعة أدلة من القرآن تبين أثر العبودية لله.
٢٠. اذكر ثلاثة أدلة تبين ثناء الله على أنبيائه بالعبودية.
٢١. وصف الله نبيه محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعبودية في أشرف المواطن اذكر أربعة منها مع الدليل.
٢٢. اذكر دليلين من القرآن على وصف عباده الصالحين بالعبادة.
٢٣. اشرح بإيجاز تفاضل الناس في عبوديتهم لله مع ذكر ثلاثة أدلة.
٢٤. اشرح بإيجاز أسر القلب واستعباده مع ذكر الدليل.
٢٥. بين كيف يحرك الحب إرادة القلب مع الدليل.
٢٦. «العبودية لا تتحقق إلا بمعونة الله» اشرح العبارة مع ذكر الأدلة.
٢٧. عدد أربعاً من آثار العقيدة على الفرد.
٢٨. عدد أربعاً من آثار العقيدة على المجتمع.



الوحدة الرابعة

العبادة في الإسلام

❁ الدرس الأول: مفهوم العبادة في الإسلام.

❁ الدرس الثاني: حكم العبادة وشروطها.

❁ الدرس الثالث: مقاصد العبادة وحكمها.

الدرس الأول: مفهوم العبادة في الإسلام

أولاً: مفهوم العبادة:

العبادة لغة: الطاعة والخضوع والتذلل والاستكانة.

وإصطلاحاً: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة^(١).

فمن الأقوال والأعمال الظاهرة: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وصدق الحديث، والأمانة، وبر الوالدين، والدعاء، والذكر، وقراءة القرآن، والإحسان إلى الناس، وأداء الأمانة والوفاء بالوعد والعهد.

ومن الأعمال الباطنة: حب الله، وخشيته والخوف منه، والإنابة إليه، والإخلاص له، والشكر لنعمه، والرضاء به وعنه، والتوكل عليه، والرجاء فيما عنده، والذل له والإخبات إليه والطمأنينة به.

ثانياً: أركان العبادة:

العبادة لها ركنان أساسيان هما:

كمال المحبة وتامها، وكمال الذل وتمامه، فلا تتحقق العبادة إلا بغاية الحب مع غاية الذل، وقيل أركانها ثلاثة: المحبة، والرجاء والخوف وقد جمعت في قول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]، فقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ

(١) العبودية، ابن تيمية (ص ٤٤).

يَدْعُونَ يَبْنَعُونَ إِلَى رَبِّهِمْ أَلْوَسِيلَةً ﴿١﴾ إشارة إلى ركن المحبة، وقوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ إشارة إلى ركن الرجاء، وقوله: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٢﴾ إشارة إلى ركن الخوف.

وللعباداة أسماء منها: النسك، والطاعة، والاستقامة.

ثالثاً: فضل العباداة:

العبادة زيادة في الإيمان وتزكية للنفس وترقي في الباقيات الصالحات وعون على الثبات وسلامة من الزلل، وتصبغ حياة المسلم بالصبغة الربانية، وتُعلق قلبه بالله وتسمو بروحه في سماء الطاعة والتدين لله، وبيان ذلك في الفضائل الآتية:

﴿ الصلاة: ﴾

الصلاة شأنها عظيم في الإسلام وأهميتها كبيرة من ذلك:

١. تنهى عن الفحشاء والمنكر:

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٢. أفضل الأعمال بعد الشهادتين:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ لَوْ قَتَلْتَهَا» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «بِرِّ الْوَالِدِينَ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

(١) متفق عليه: البخاري: باب فضل الصلاة لوقتها، ح(٥٢٧)، ومسلم: باب كون الإيمان بالله أفضل، ح(٨٥).

٣. تغسل الخطايا وتكفر السيئات وترفع الدرجات:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مثل الصلوات الخمس كمثل نهرٍ غمرٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات»^(١)، وقال أيضاً: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر»^(٢)، وكثرة السجود ترفع الدرجات قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عليك بكثرة السجود، فإنك لا تسجد لله سجدةً إلا رفعك الله بها درجة، وحطَّ عنك بها خطيئة»^(٣)، كما أن المشي إلى الصلاة تُرفع به الدرجات وتُكتب به الحسنات قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من تطهَّر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله؛ ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت حَطَّوَتاه إحداهما تحطُّ خطيئته، والأخرى ترفع درجة»^(٤).

٤. الصلاة نور في الدنيا والآخرة:

الصلاة نور لصاحبها قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور، ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأبي بن خلف»^(٥)، وقال أيضاً: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»^(٦).

(١) مسلم: باب المشي إلى الصلاة تحمى به الخطايا، ح(٦٦٨).

(٢) مسلم: باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ح(٢٣٣).

(٣) مسلم: باب فضل السجود والحث عليه، ح(٤٨٨).

(٤) مسلم: باب المشي إلى الصلاة، ح(٦٦٦).

(٥) مسند أحمد: ح(٦٥٧٦).

(٦) أبو داود: باب ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلام، ح(٥٦١).

٥. من أسباب دخول الجنة:

عن ربيعة بن كعب الأسلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كنت أبيت مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتيته بوضوءه وحاجته، فقال لي: «سَلْ» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: «أو غير ذلك؟» قلت: هو ذلك، قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود»^(١)، وصاحب الصلاة تُعدُّ له الضيافة في الجنة كلما غدا إليها أو راح؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له في الجنة نُزُلًا كُلَّمَا غدا أو راح»^(٢)، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من صَلَّى في يومٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، بنى الله له بيتًا في الجنة»^(٣).

٦. يغفر الله بها الذنوب فيما بينها وبين الصلاة التي تليها:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء، فيصلي صلاة إلا غفر الله له ما بينه وبين الصلاة التي تليها»^(٤)، والصلاة تكفر ما قبلها من الذنوب: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم يأتي كبيرة، وذلك الدهر كله»^(٥).

٧. تُصَلِّي الملائكة على صاحبها ما دام في مُصَلَّاه:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلواته في بيته وصلواته في سوقه بضعةً وعشرين درجةً. وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن

(١) مسلم: باب فضل السجود والحث عليه، ح(٤٨٩).

(٢) مسلم: باب المشي إلى الصلاة، ح(٦٦٩).

(٣) مسند أحمد، ح(٢٦٧٦٨).

(٤) مسلم: باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، ح(٢٢٧).

(٥) مسلم: باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، ح(٢٢٨).

الوضوء ثم أتى المسجد، لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة، فلم يخط خطوة إلا رُفِعَ له بها درجةٌ، وحُطَّ عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة تحبسه، والملائكة يُصلُّون على أحدكم مادام في مجلسه الذي صلى فيه، يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه، ما لم يؤذ فيه، ما لم يحدث فيه»^(١)، وانتظار الصلاة رباط في سبيل الله، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»^(٢).

٨. إذا تطهر وخرج إليها فهو في صلاة حتى يرجع:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا توضأ أحدكم في بيته، ثم أتى المسجد، كان في صلاة حتى يرجع»^(٣)، وقال أيضاً: «من حين يخرج أحدكم من منزله إلى مسجدي، فرجلٌ تكتبُ حسنةً ورجلٌ تحطُ سيئةً حتى يرجع»^(٤)، وأخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من خرج إليها فله أجر الحاج قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة، فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى^(٥) لا ينصبه^(٦) إلا إياه، فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتابٌ في عليين»^(٧).

(١) مسلم: باب فضل الصلاة الجماعة وانتظار الصلاة، ح(٦٤٩).

(٢) مسلم: باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، ح(٢٥١).

(٣) صحيح ابن خزيمة: باب النهي عن التشبيك بين الأصابع، ح(٤٤٧).

(٤) مسند أحمد: ح(٨٢٤٠).

(٥) أي: صلاة الضحى، وكل صلاة يتطوع بها فهي تسبيحٌ وسُبُحَةٌ. الترغيب والترهيب للمنذري، (١/٢٩٢).

(٦) لا ينصبه: لا يتعبه إلا ذلك، والنَّصْبُ: التعب، الترغيب والترهيب للمنذري (٢/٢٩٢).

(٧) أبو داود: باب ما جاء في فضل المشي إلى الصلاة، ح(٥٥٨).

الزكاة والصدقة:

للزكاة ثوابٌ عظيمٌ، وفضائلٌ جليلةٌ؛ منها:

١. اقتربناها بالصلاة في كتاب الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ١١٠].

٢. سبب لدخول الجنة:

الزكاة من أسباب دخول الجنة؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا أَرَاهُمْ رَبُّهُمْ إِذْهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ [الذاريات: ١٥-١٩]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خمسٌ من جاء بهنَّ مع إيمانٍ دخل الجنة: دخل الجنة: من حافظ على الصَّلواتِ الخمسِ على وضوئهنَّ وركوعهنَّ وسجودهنَّ ومواقيتهنَّ، وصام رمضان، وحجَّ البيت إن استطاع إليه سبيلاً، وأعطى الزكاة طيبةً بها نفسه»^(١)، وقال أيضاً: «من أنفق زوجين في سبيل الله نُودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خيرٌ، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دُعي من الجهاد ومن كان من أهل الصيام دُعي من الريان ومن كان من أهل الصدقة دُعي من الصدقة فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم»^(٢).

(١) أبو داود: باب في المحافظة على وقت الصلوات، ح(٤٢٩).

(٢) متفق عليه: البخاري: باب الريان للصائمين، ح(١٨٩٧)، ومسلم: باب من جمع الصدقة وأعمال

البر، ح(١٠٢٧).

٣. طريق للإيمان:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاثٌ من فعلهنَّ فقد طَعِمَ طَعْمَ الإِيمَانِ: من عبد الله وحده، وعلمَ أن لا إله إلا الله، وأعطى زكاةَ ماله طَيِّبَةً بها نفسه»^(١).

٤. الصدقة تزيد المال بركة:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما نقصت صدقةً من مالٍ وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»^(٢).

٥. الصدقة أجراها مستمر ما دام يُنتفع بها:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثةٍ إلا من صدقةٍ جاريةٍ أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له»^(٣)، وما تصدق به الإنسان فهو الباقي عند الله، في الحديث: «وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت»^(٤)، وسأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟» قالوا: يا رسول الله ما منا أحدٌ إلا ماله أحب إليه قال: «فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر»^(٥).

٦. الإنفاق ثبات على الحق:

في الإنفاق في سبيل الله ثبات على الصراط المستقيم قال الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ

(١) أبو داود: باب في زكاة السائمة، ح (١٥٨٢).

(٢) مسلم: باب استحباب العفو، ح (٢٥٨٨).

(٣) مسلم: باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ح (١٦٣١).

(٤) مسلم: باب الزهد والرفاق، ح (٢٩٥٨).

(٥) البخاري: باب ما قدم من ماله فهو له، ح (٦٤٤٢).

بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿البقرة: ٢٦٥﴾.

٧. الصدقة تدفع البلاء:

في الحديث: «داؤوا مرضاكم بالصدقة»^(١)، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «للصدقة تأثيرٌ عجيب في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو ظالم، بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء، وهذا أمرٌ معلوم عند الناس، خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلُّهم مُقَرَّرُونَ به؛ لأنهم قد جَرَّبُوهُ»^(٢). وقال أيضاً: «في الصدقة فوائدٌ ومنافع لا يحصيها إلا الله؛ فمنها أنها تقي مصارعَ السوء، وتدفع البلاء حتى إنها لتدفع عن الظالم»^(٣).

﴿الصوم﴾:

فضائل الصوم كثيرة ومزاياه عديدة ومن ذلك ما يأتي:

١. جزاء الصوم اختص الله به:

في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجلي»^(٤).

(١) السنن الكبرى للبيهقي: باب وضع اليد على المريض، ح(٦٥٩٣).

(٢) الوابل الصيب من الكلام الطيب، ابن القيم (ص ٣١).

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم (ص ٢٥٤).

(٤) متفق عليه: البخاري: باب ما يذكر في المسك، ح(٥٩٢٧)، ومسلم: باب فضل الصيام،

ح(١١٥١).

٢. الصومُ جُنَّةٌ:

من فضائل الصوم أنه جنة أي: وقاية وستر من عذاب الآخرة، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصيام جنة، فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم مرتين والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها»^(١).

٣. أهل الصيام لهم ميزة يوم القيامة:

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم يقال أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»^(٢)، وللصائم فرحة عند لقاء الله: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه»^(٣).

٤. الصوم يغفر الذنوب:

الصوم يغفر الذنوب فصوم رمضان يغفر ما تقدم من الذنوب قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٤)، وصوم يوم عرفة يكفر سنتين، وصيام يوم عاشوراء يكفر سنة، في الصحيحين قال النبي

(١) مسند أحمد: ح(٩٩٩٨).

(٢) متفق عليه: البخاري: باب الريان للصائمين، ح(١٨٩٦)، ومسلم: باب فضل الصيام، ح(١١٥٢).

(٣) البخاري: باب هل يقول إني صائم إذا شئتم، ح(١٩٠٤).

(٤) البخاري: صوم رمضان احتساباً من الإيثار، ح(٣٧).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»^(١).

٥. الصوم سبب لاستجابة الدعاء:

عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ثَلَاثٌ حَقَّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرُدَّ لَهُمْ دَعْوَةٌ: الصَّائِمُ حَتَّى يَفْطُرَ، وَالْمُظْلُومُ حَتَّى يَنْتَصِرَ، وَالْمَسَافِرُ حَتَّى يَرْجِعَ»^(٢). وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّائِمُ لَا تَرُدُّ دَعْوَتَهُ»^(٣).

٦. تنفاعة الصوم لصاحبه:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ إِنِّي مَنَعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَعْنِي فِيهِ، فَيُشْفَعَانِ»^(٤)، وقال أيضاً: «لكل أهل عمل باب من أبواب الجنة يدعون منه بذلك العمل ولأهل الصيام باب يقال له الريان»^(٥).

الحج والعمرة:

الحج فضله عظيم وأجره جزيل يتجلى ذلك فيما يأتي:

١. الحج من أفضل الأعمال:

سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»^(٦).

(١) مسلم: باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، ح(١١٦٢).

(٢) مسند البزار: ح(٨١٤٨).

(٣) مسند أحمد: ح(١٠١٨٢).

(٤) مسند أحمد: ح(٦٦٢٦).

(٥) مسند أحمد: ح(٩٨٠٠).

(٦) البخاري: باب فضل الحج المبرور، ح(١٥١٩).

٢. الحج يبيض صحائف المسلم:

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»^(١).

٣. الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب:

رَغِبَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْإِكْتِثَارِ مِنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَقَالَ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجِّ الْمَبْرُورِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(٢)، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جُزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(٣).

﴿ تلاوة القرآن ﴾

قراءة القرآن عبادة يحبها الله، ويزيد الإيمان بها ويُشرق لها القلب، وتتسع بها البصيرة، ويتجلى ذلك فيما يأتي:

١. ثناء الله على الذين يتلون القرآن:

أثنى الله على عباده الذين يقرؤون القرآن بقوله: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢١]، وقال أيضًا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴾ [فاطر: ٢٩]، وبين سبحانه أنه يسر تعلم القرآن وفهمه فقال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر: ١٧].

(١) البخاري: باب قوله: ﴿ فَلَا رَفَثَ ﴾، ح (١٨١٩).

(٢) الترمذي: باب ما جاء في ثواب العمرة، ح (٨١٠).

(٣) متفق عليه: البخاري: باب وجوب العمرة، ح (١٧٧٣)، ومسلم: باب فضل الحج والعمرة،

ح (١٣٤٩).

٢. قراءة القرآن تزيد الحسنات وتضاعفها:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»^(١)، وقال أيضاً: «أحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث خلفات عظام سمان فتلات آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات سمان»^(٢).

٣. تحقق الخيرية لمعلم القرآن ومتعلمه:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٣)، وقال أيضاً: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»^(٤)، وقال أيضاً: «أيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ الْعَقِيقِ، فَيَأْتِي كُلَّ يَوْمٍ بِنَاقَتَيْنِ كُومَاوِينَ زَهْرَاوِينَ، فَيَأْخُذُهُمَا فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا يَقْطَعِ رَحِمَهُ؟» قال: قُلْنَا: كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ يُحِبُّ ذَلِكَ. قال: «فَلَا تَغْدُوا أَحَدَكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَيَتَعَلَّمَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمَنْ أَعْدَاهُنَّ مِنَ الْإِبْلِ»^(٥).

٤. القرآن تنفيح وحرز وحفظ لصاحبه:

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو

(١) الترمذي: باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن (٢٩١٠).

(٢) مسلم: باب فضل قراءة القرآن (٨٠٢).

(٣) البخاري: باب من تعلم القرآن وعلمه، ح (٥٠٢٧).

(٤) متفق عليه: البخاري: باب يوم ينفخ في الصور، ح (٤٩٣٧)، ومسلم: باب فضل الماهر بالقرآن، ح (٧٩٨).

(٥) مسند أحمد: ح (١٧٤٠٨).

كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»^(١)، وقال أيضاً: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»^(٢).

٥. تلاوة القرآن طريق إلى الجنة:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له بيتاً في الجنة»^(٣)، وبين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن صاحب القرآن يرتقي في الجنة بقرآنه: «يُقَالُ لصاحب القرآن: اقرأ، وارق، ورتل كما كنت تُرتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»^(٤)، وأهل القرآن هم أهل الله قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ»، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله، وخاصته»^(٥).

﴿ ذكر الله:

ذكر الله طريق لזكاة القلب وسمو النفس أمر الله به وهي عبادة أمر الله بها في كتابه المجيد وحث عليها رسولنا الكريم يتجلى ذلك فيما يأتي:

١. أمر الله بذكره:

أمر الله عباده بذكره فقال سبحانه: ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَأشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال أيضاً: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(١) مسلم: باب فضل قراءة القرآن، ح(٨٠٤).

(٢) البخاري: باب فضل سورة البقرة، ح(٥٠٠٨).

(٣) مسند أحمد: ح(١٥١١).

(٤) مسند أحمد: ح(٦٨٠٠).

(٥) مسند أحمد: ح(١٢٢٩٢).

٢. الذكر من أركي الأعمال:

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: بلى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «ذَكَرُ اللَّهِ تَعَالَى»^(١)، وَقَالَ أَيْضًا: «سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ، سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُفْرَدُونَ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»^(٢).

٣. أهل الذكر تتغشاهم الرحمة:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَقَعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(٣)، وَقَالَ أَيْضًا: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحْفُوظُهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ جَلِ شَأْوَهُ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالَ: تَقُولُ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا، وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوَهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوَهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوَهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوَهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا»^(٤).

(١) موطأ مالك: باب فضل الدعاء (٥٢٤).

(٢) مسلم: باب الحث على ذكر الله، ح (٢٦٧٦).

(٣) ابن ماجه: باب فضل الذكر، ح (٣٧٩١).

(٤) متفق عليه: البخاري: باب فضل ذكر الله، ح (٦٤٠٨)، ومسلم: باب استحباب صلاة النافلة في بيته، ح (٧٧٩).

٤. الذكر يزيد الحسنات ويحط الخطايا:

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قال: سبحان الله ويحمده في يوم مائة مرة؛ حُطَّتْ خطاياهُ، وإن كانت مثل زبد البحر»^(١)، وقال أيضاً: «ما عمل آدمي عملاً قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله»^(٢)، ولذا كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر من قول: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه»^(٣)، كما أرشد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أحد أصحابه إلى كنز من كنوز الجنة بقوله: «قل: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة»^(٤).

٥. كثرة الذكر وصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبّث به، قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»^(٥)، وجاء أعرابيان إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال أحدهما: يا رسول الله أيُّ النَّاسِ خير؟ قال: «طوبى لمن طال عُمرُهُ وحسُنَ عمله»، وقال الآخر: أيُّ العملِ خير؟ قال: «أن تفرّق الدنيا ولسانك رطبٌ من ذكر الله»، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مثلُ الذي يذكرُ ربَّهُ والذي لا يذكرُ ربَّهُ، مثلُ الحيِّ والميت»^(٦)، وقال أيضاً: «ثلاثة لا يردُّ اللهُ دعاءَهُم: الذَّاكِر اللهُ كثيراً، ودعوة المظلوم، والإمامُ المُقسِط»^(٧).

(١) متفق عليه: البخاري: فضل التسييح، ح(٦٤٠٥)، ومسلم: باب فضل التهليل والتسييح، ح(٢٦٩١).

(٢) ابن ماجه: باب فضل الذكر، ح(٣٧٩٠).

(٣) مسلم: باب ما يقال في الركوع، ح(٤٨٤).

(٤) البخاري باب الدعاء إذ علا عقبه، ح(٦٣٨٤).

(٥) الترمذي: باب ما جاء في فضل الذكر، ح(٣٣٧٥).

(٦) البخاري: باب فضل ذكر الله، ح(٦٤٠٧).

(٧) شعب الإيمان: ح(٥٨٢)، (١٠٤/٢).

٦. كثرة استغفار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ، مِئَةَ مَرَّةٍ، يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ»^(١)، وَأَرشَد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عِظْمَةِ الْاسْتِغْفَارِ الْمَقْرُونِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ بِقَوْلِهِ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ رَمْلِ عَالِجٍ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ عَدَدِ وَرَقِ الشَّجَرِ»^(٢).

وَعَلِمَ أُمَّتَهُ سَيِّدُ الْاسْتِغْفَارِ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيِّدُ الْاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُزْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمَسِّيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٣).



(١) مسند البزار: ح (٥٩٠٦).

(٢) مسند أحمد: ح (١١٠٧٤).

(٣) البخاري: باب أفضل الاستغفار، ح (٦٣٠٦).

الدرس الثاني: حكم العبادة وشروطها

أولاً: حكم العبادة:

العبادة في الإسلام منها ما هو فرض عين ومنها ما هو فرض كفاية ومنها ما هو مستحب، وفرض العين هو: ما يتعين فعله على كل مسلم مكلف كالصلاة والصيام والحج، وفرض الكفاية هو: إذا قام بها بعضهم سقط عن الباقين، كصلاة العيدين والجنائز.

والسنن المستحبة، هي: التي يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها، كالسنن الرواتب وقيام الليل وصدقة التطوع.

ثانياً: شروط العبادة في الإسلام:

للعبادة شرطان لا تصح إلا بهما، وهما: الإخلاص والمتابعة.

فالإخلاص: هو صدق التوجه لله قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

والمتابعة والموافقة للشرع هي: أن تكون العبادة مأذوناً فيها شرعاً، وعلى الكيفية التي أَرادها الله تعالى وارتضاها وبينها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(١).



(١) مسلم: باب نقض الأحكام الباطلة، ح (١٧١٨).

الدرس الثالث: مقاصد العبادة وحكمها

للعبادة في الإسلام غايات سامية وحكم جليلة يُمكن إجمالها فيما يأتي:

١. الامتثال لأمر الله تعالى وشرعه وتنفيذ حكمه.
٢. تحقيق الإيثار بالغيب من خلال هذا الامتثال والتطبيق.
٣. القيام بواجب الشكر لله وأداء حقه على عباده.
٤. الابتلاء والامتحان بالتكليف بالعبادة والطاعة. قال الله تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ١، ٢].

ولتوضيح ذلك أكثر نعرض حكم العبادات بصورة تفصيلية:

أولاً: الصلاة: ومن حكمها ومقاصدها أنها:

١. عبودية لله تعالى وذكر له وطاعة وامتثال.
٢. زاد إيماني وراحة وطمأنينة.
٣. تطهير من الذنوب والمعاصي.
٤. صلاح للنفس وتزكية لها قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥].

٥. طهارة وتجميل وزينة وجمال، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ

عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿المائدة: ٦﴾.

٦. تربية على النظام والانضباط، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

ثانياً: الزكاة: ومن حكم الزكاة والصدقة ومقاصدها أنها:

١. عبودية لله تعالى وعلامة على إيمان صاحبها.
٢. زيادة للأموال ونماء لها.
٣. تطهير وتزكية لصاحبها.
٤. تعويد على البذل والعطاء، وتخليص للقلوب من التعلق بالدنيا.
٥. شكر لنعمة المال.
٦. مواساة للفقراء والمساكين، وتآلف وتكافل للمجتمع وتعاون وتراحم بين المؤمنين.

ثالثاً: الصوم: ومن حكمه ومقاصده أنه:

١. عبودية لله تعالى ودليل إخلاص ومراقبة لله.
٢. تعويد على الصبر والتحمل وقوة الإرادة.
٣. التخفيف من متاع الدنيا الزائد وكسر ثورة النفس وكبح جماحها.
٤. الشعور بحال الفقراء والمساكين والمحرومين.
٥. استشعار نعم الله تعالى الكثيرة.
٦. صحة للبدن وعافية للجسد.

رابعاً: الحج: ومن حكمه ومقاصده أنه:

١. عبودية لله وذكر له.
٢. تطهير للذنوب والآثام.
٣. تعويد للنفس على الصبر والتحمل والتضحية.

- ٤ . تذكير بالدار الآخرة ورحلة ما بعد الموت.
 - ٥ . تجلٍ لمظاهر وحدة الأمة الإسلامية.
 - ٦ . تحقيق للمنافع وتبادل للخبرات بين المسلمين.
- خامساً: الذكر والدعاء؛ ومن حكمه ومقاصده أنه:**
- ١ . جلاء للقلوب وشفاء للنفس وصلاح للبال.
 - ٢ . سبب لزيادة محبة الله والتعلق به والشوق إليه.
 - ٣ . علاج للغفلة والنسيان.
 - ٤ . إظهار افتقار العبد إلى الله والتبرؤ من الحول والقوة.
 - ٥ . إظهار عظمة الله وقدرته وكرمه في تلبية حاجة عباده^(١).



(١) ينظر الثقافة الإسلامية، د. محمد حمد باجابر وآخرون (ص ٣٨٢-٣٨٥).

أسئلة الوحدة الرابعة

١. ما مفهوم العبادة لغة واصطلاحاً؟
٢. ما أركان العبادة وأسسها؟
٣. بين خمساً من فضائل الصلاة مع ذكر الأدلة.
٤. بين خمساً من فضائل الزكاة والصدقة مع ذكر الأدلة.
٥. بين خمساً من فضائل الصوم مع ذكر الأدلة.
٦. بين ثلاثاً من فضائل الحج والعمرة وأهميتها مع ذكر الأدلة.
٧. بين أربعاً من فضائل القرآن مع ذكر الأدلة.
٨. بين أربعاً من فضائل الدعاء مع ذكر الأدلة.
٩. ما حكم العبادة في الإسلام؟ مع شرح موجز.
١٠. ما شروط العبادة في الإسلام؟
١١. عدد أربعاً من حكم وغايات العبادة.
١٢. عدد خمساً من حكم وغايات الصلاة.
١٣. عدد خمساً من حكم وغايات الزكاة.
١٤. عدد خمساً من حكم وغايات الصوم.
١٥. عدد خمساً من حكم وغايات الحج والعمرة.
١٦. عدد خمساً من حكم وغايات الذكر والدعاء.



الوحدة الخامسة

الأخلاق في الإسلام

❁ الدرس الأول: فضل الأخلاق الإسلامية ومكانتها.

❁ الدرس الثاني: الإحسان.

❁ الدرس الثالث: العدل.

❁ الدرس الرابع: الصدق.

❁ الدرس الخامس: الصبر.

❁ الدرس السادس: العفة.

❁ الدرس السابع: الأمانة.

❁ الدرس الثامن: بر الوالدين وصلته الرحم.

الوحدة الخامسة

الأخلاق في الإسلام

الأخلاق من أصول الإسلام، فهي سبيل إلى تحقيق الطمأنينة والسكينة والاستقرار وراحة البال، وإذا وُفق العبد للخلق الحسن فقد رزق خيراً عظيماً وفتح له باب توفيق للترقي في مراتب البر والإحسان.

الدرس الأول: فضل الأخلاق الإسلامية ومكانتها

الأخلاق لغة: الدين والطبع والسجية^(١).

واصطلاحاً: هيئة في النفس عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، وقيل هي: بذل الندى، وكف الأذى، وفك الكف، وكف الفك، وبذل الجميل وكف القبيح، والتخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل^(٢).
وتتجلى مكانة الأخلاق في الإسلام في النقاط الآتية:

١. أمر الله بالخلق الحسن:

المعاملة الحسنة مع القول اللين والكلمة الطيبة مما أمر الله به ووجه إليه في كتابه حيث قال سبحانه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] أي: كلموهم طيباً، ولينوا لهم جانباً، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف^(٣) والآية رسمت قاعدة شرعية عامة في التعامل مع الناس بالحسنى، والعدل والإفضال،

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٠/٨٦).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي (٢/٥٦٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/٣١٧).

وإذا حَسُنَتْ أخلاق الإنسان كَثُرَ مُصَافُوهُ، وَقَلَّ مُعَادُوهُ، فَسَهَلَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ الصَّعَابُ، وَلَانَتْ لَهُ الْقُلُوبُ الْغَضَابُ^(١).

٢. ثناء الله على رسوله بالخلق الحسن:

أثنى الله بأفضل وأعظم ثناء على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وكان خلقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن الكريم، فقد «جمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله توجب له محبة الله وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته»^(٢)، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»^(٣).

٣. صاحب الخلق الحسن أقرب إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ مِنْ أَحْبَبِكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنْ أَبْغَضَكُم إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُم مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ وَالْمَتَشَدِّقُونَ وَالْمَتَفِيهِقُونَ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَارُونَ وَالْمَتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمَتَفِيهِقُونَ؟ قَالَ: «الْمَتَكَبِّرُونَ»^(٤).

٤. الخلق الحسن يثقل الميزان بالحسنات:

ينال المسلم بحسن خلقه درجة الصائم القائم، لحديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حَسَنِ الْخَلْقِ»^(٥)،

(١) ينظر أدب الدنيا والدين، الماوردي (ص ٢٤٣).

(٢) الفوائد، ابن القيم (ص ٥٤).

(٣) مسند البزار: ح (١٨٩٤٩).

(٤) الترمذي: باب ما جاء في معالي الأخلاق، ح (٢٠١٨).

(٥) أبو داود: باب في حسن الخلق، برقم الحديث: (٤٧٩٩).

وقال أيضاً: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»^(١)، وقال أيضاً: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(٢)، ولذا كان من دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم كما أحسنت خلقي فحسن خلقي»^(٣).

طرق اكتساب الأخلاق الفاضلة:

الأخلاق منها ما يكون جبلياً طبع عليه الإنسان منذ ولادته، ومنها ما يكون كسبياً يقع له بالتخلق والمجاهدة ورياضة النفس، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأشج عبد القيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن فيك لخلقين يحبهما الله: الحلم، والأناة»، فقال: أخلقين تخلقت بهما أم جبلي الله عليهما؟ فقال: «بل جبلك الله عليهما»، فقال: الحمد لله الذي جبلي على خلقين يحبهما الله ورسوله»^(٤)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم»^(٥)، وقال أيضاً: «إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله تعالى يعطي المال من أحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب، فمن ضن بالمال أن ينفقه، وخاف العدو أن يجاهده، وهاب الليل أن يكابده، فليكثر من قول: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر»^(٦).

الوسائل المعينة على اكتساب الأخلاق والقيم الإسلامية:

اكتساب الأخلاق الحسنة والتخلص من الأخلاق السيئة أمر يحتاج إلى مجاهدة ومصابرة وهو يسير على من يسره الله عليه ومما يعين في تحقيق ذلك الأمور الآتية:

(١) أبو داود: باب حسن الخلق، برقم الحديث: (٤٧٩٨).

(٢) أبو داود: باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ح (٤٦٨٢).

(٣) مسند أبي داود الطيالسي: ح (٣٧٢).

(٤) البخاري: الأدب المفرد، باب التؤدة في الأمور، ح (٥٨٤).

(٥) الطبراني في مسند الشاميين، ح (٢١٠٣).

(٦) البخاري: الأدب المفرد، باب حسن الخلق، ح (٢٧٥).

١. الدّعاء والتّضرع إلى الله:

الدّعاء من أعظم الوسائل المعينة على اكتساب الأخلاق الفاضلة ولذا كان من دعائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك»^(١).

٢. مجاهدة النّفس:

اكتساب الخلق الحسن يحتاج إلى مجاهدة وتدريب وصبر وتحمل، حتى تعتاد الأخلاق الكريمة وتستقيم عليها، وتبتعد عن الأخلاق الذميمة قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه»^(٢).

٣. المحاسبة:

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»^(٣)، قال ميمون بن مهران: «لا يكون العبد تقياً حتى يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه من أين مطعمه وملبسه».

٤. مصاحبة الأخيار وأهل الأخلاق الفاضلة:

مجالسة أهل الفضل والخلق الكريم تعود بالنفع على صاحبها قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثاً»^(٤).

(١) مسند أحمد: ح (٨٠٣).

(٢) مسند الشاميين، الطبراني، ح (٢١٠٣).

(٣) الترمذي: ح (٢٤٥٩)، مسند أحمد: ح (١٧١٢٣).

(٤) البخاري: باب المسك، ح (٥٥٣٤).

٥. النظر في سير الصحابة الكرام وأهل الفضل والخلق الحسن:

مداومة القراءة في سيرة أهل الفضل والخلق الكريم تعين في اكتساب الخلق الحسن، والسلف الصالح أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، وهم الذين ورثوا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هديه، وسمته، وخلقته، فالنظر في سيرهم، والاطلاع على أحوالهم يبعث على التأسي بهم، والافتداء بهديهم.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

٦. مطالعة كتب السلوك والآداب والأخلاق:

المطالعة في كتب الآداب والأخلاق يعين في اكتساب الأخلاق الحسنة والتخلص من الأخلاق السيئة، وهو من مقاصد الشريعة حيث تجعل شخصية المسلم متكاملة متوازنة معتدلة، والموفق من يجاهد نفسه في ذلك.



الدرس الثاني: الإحسان

الإحسان أعلى مراتب الإسلام، وأفضلها؛ لكونه محل مراقبة العبد لربه، فإذا استشعر العبد مراقبة الله عَزَّجَلَّ صلح حاله في الدنيا والآخرة.

أولاً: مفهوم الإحسان لغة واصطلاحاً:

الإحسان لغة: مصدر أحسن يحسن إحساناً، إذا جاء بفعل حسن، وهو ضد الإساءة^(١).

واصطلاحاً هو: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك^(٢).

وقيل هو: فعل الإنسان ما ينفع غيره بحيث يصير الغير حسناً به، كإطعام الجائع، أو يصير الفاعل به حسناً بنفسه^(٣).

ثانياً: فضل الإحسان:

تتجلى مكانة الإحسان في النقاط الآتية:

١. أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْإِحْسَانِ:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، قال الحسن البصري: «إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة فو الله ما ترك العدل والإحسان شيئاً من طاعة الله عَزَّجَلَّ إلا جمعه ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه»^(٤).

(١) الفروق اللغوية، العسكري (ص ١٩٣).

(٢) متفق عليه: البخاري: باب سؤال جبريل، ح (٥٠)، ومسلم: باب معرفة الإيمان، ح (٨).

(٣) موسوعة نضرة النعيم (٢/ ٦٧).

(٤) حلية الأولياء، أبو نعيم: (١٥٨/ ٢).

٢. محبة الله للمحسن ومعيته له:

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ومن أحبه الله وكان معه فإنه لا يخاف بأساً ولا رهقاً.

٣. عاقبة المحسن الجنة:

قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وقال أيضاً: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

٤. المحسن ينال من الله العلم والحكمة والرحمة:

قال الله تعالى عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]، وقال أيضاً: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

٥. الإحسان يستر العبد من النار:

عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمر واحد، فأعطيتها، فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحدثته فقال: «من يلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»^(١).

٦. جاء الإسلام بالإحسان إلى كل شيء:

أمر الله بالإحسان إلى الناس عموماً بقوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء».

(١) ابن ماجه: باب بر الوالد والإحسان إلى البنات، ح(٣٦٦٩).

فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته»^(١)، قال عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنا والله قد صحبنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائنا ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير»^(٢)، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «مفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده»^(٣)، وقال أيضًا: «الإحسان يفرح القلب ويشرح الصدر ويجلب النعم ويدفع النقم، وتركه يوجب الضيم والضييق ويمنع وصول النعم إليه، فالجن ترك الإحسان بالبدن والبخل ترك الإحسان بالمال»^(٤)، وقال أيضًا: «ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة الإحسان؛ وهي لب الإيثار وروحه وكماله وهذه المنزلة تجمع جميع المنازل فجميعها منظوية فيها»^(٥).

قال الشاعر:

أَحْسِنُ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ	فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانَ إِحْسَانُ
مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالَ النَّاسِ قَاطِبَةً	إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ فَتَانُ
أَحْسِنُ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَمَقْدِرَةٌ	فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِنْسَانِ إِمْكَانُ
حَيَّاكَ مَنْ لَمْ تَكُنْ تَرْجُو تَحِيَّتَهُ	لَوْلَا الدَّرَاهِمُ مَا حَيَّاكَ إِنْسَانُ ^(٦)



(١) مسلم، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، ح (١٩٥٥).

(٢) مسند أحمد: ح (٥٠٤).

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم (ص ٦٩).

(٤) طريق المهجرتين، لابن القيم (ص ٤٦٠).

(٥) مدارج السالكين، لابن القيم (٣/٣١٩).

(٦) قصيدة عنوان الحكم، لأبي الفتح البستي (ص ٣٥).

الدرس الثالث: العدل

العدل صفة خلقية كريمة، بها قوام الحياة وصلاح المجتمعات، تدل على شهامة ومروءة من يتحلَّى بها، ولذا فقد عمل الإسلام على إثباتها، وإرسائها بين الناس، حتى ارتبطت بها جميع مناحي تشريعاته ونظمه.

أولاً: مفهوم العدل لغةً واصطلاحاً:

العدل في اللغة: خلاف الجور. وهو ضد الظلم^(١).

العدل اصطلاحاً: أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه^(٢). وقيل هو: القصد في الأمور، والإنصاف والمساواة بين الناس^(٣).

ثانياً: فضل العدل:

تتجلى مكانة العدل في النقاط الآتية:

١. أمر الله بالعدل:

أمر الله به العباد بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منها في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل وال ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء

(١) الصحاح في اللغة للجوهري (٥/ ١٧٦٠).

(٢) الأخلاق والسير لابن حزم (ص ٨١).

(٣) الأخلاق الإسلامية، لحسين المرسي (ص ١١٠).

ونواب الخليفة، ونواب القاضي، والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه»^(١).

والعدل من الأعمال الصالحة قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تعديل بين الاثنين صدقة»^(٢).

٢. العدل دليل التقوى:

قال تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، وأمر الله به مع الجميع فقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

والجنة جزاء العدل، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عزَّجَلَّ وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»^(٣).

٣. حذر الله من الظلم:

حرم الله الظلم والجور فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقال أيضاً: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]، جاء في الحديث القدسي قوله: «يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا»^(٤)، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محذراً من الظلم: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم

(١) تفسير السعدي (ص ٤٤٧).

(٢) متفق عليه: البخاري: باب من أخذ بالركاب ح (٢٩٨٩)، ومسلم: باب استحباب صلاة الضحى ح (٧٢٠).

(٣) مسلم: باب الإمام العادل، ح (٤٧٤٨).

(٤) مسلم: باب تحريم الظلم، ح (٦٦٦٤).

القيامة»^(١)، وحينما بعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذًا إلى اليمن داعيًا إلى الله قال له: «واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»^(٢)، فالظلم سبب الهلاك، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَمَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «العدل نظام كل شيء؛ فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة؛ فالنفس فيها داعي الظلم لغيرها بالعلو عليه والحسد له؛ والتعدي عليه في حقه»، وقال أيضًا: «للدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام»^(٣).



(١) مسلم: باب تحريم الظلم، ح(٦٦٦٨).

(٢) البخاري: باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، ح(٢٣١٦).

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٤٦/٢٨).

الدرس الرابع: الصّدق

اللسان أداة التفاهم والتخاطب، وعلى صدقه وكذبه تركز سعادة الإنسان وشقاؤه؛ فينعكس أثر ذلك على حياته ومجتمعه، لذلك جاء الإسلام معززاً للصدق في الأقوال والأفعال، والمقاصد والنيات، والعبادات والمعاملات.

أولاً: مفهوم الصّدق لغةً واصطلاحاً:

الصدق لغة: الجامع للأوصاف المحمودة، وقيل هو: الكامل من كل شيء^(١).
واصطلاحاً: استواء السرّ والعلانية والظاهر والباطن بآلا تكذب أحوال العبد أعماله، ولا أعماله أحواله^(٢). وقيل هو: مطابقة الخبر للواقع.

ثانياً: فضل الصّدق:

تتجلى مكانة الصّدق في النقاط الآتية:

١. أمر الله عباده بالصّدق:

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾

[التوبة: ١١٩].

٢. وعد الله بالمغفرة والأجر العظيم للصادقين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصّٰدِقِينَ وَالصّٰدِقَاتِ وَالصّٰبِرِينَ وَالصّٰبِرَاتِ وَالْخٰشِعِينَ وَالْخٰشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصّٰبِغِينَ وَالصّٰبِغَاتِ وَالْحٰفِظِينَ وَالْحٰفِظَاتِ فُرُوجَهُمْ

(١) لسان العرب (١٠/١٩٦).

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٦/٢٤٧٤).

وَأَلْحَفِظَتِ وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿التوبة: ١١٩﴾.

٣. جزاء الصدق الجنة:

قال تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩].

٤. الترغيب في الصدق والترهيب من ضده:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»^(١).

٥. الصدق طريق النجاة:

في غزوة تبوك تخلف ثلاثة من الصحابة عن الغزوة من بينهم كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد صدقوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنزلت توبة الله عليهم في القرآن يقول كعب: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيْتُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ تَعَالَى، وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا بَقِي»^(٢).

(١) مسلم: باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ح (٢٦٠٧).

(٢) البخاري: باب حديث كعب بن مالك، ح (٤٤١٨).

ثالثاً: مجالات الصدق:

للصدق ثلاثة مجالات:

مع الله: ويتضمن تلقي أخباره بالتصديق، وأحكامه بالتنفيذ والتطبيق، وأقداره بالصبر والرضا.

ومع النفس: ويتضمن تزكيتها وتطهيرها.

ومع الخلق: ويتضمن الصدق في القول والمعاملات والوفاء بالعهود والعقود وعدم الظلم.



الدرس الخامس: الصبر

الصبر من الأخلاق التي دعا إليها الإسلام وأمر بها ورغب فيها، ولعظمتها ومكانتها فقد وردت آيات الصبر في أكثر من تسعين موضعاً في كتاب الله، فالصبر من الإيثار بمنزلة الرأس من الجسد، والإنسان بحاجة للصبر في الحياة في كل لحظة وفي كل ساعة وفي كل زمان ومكان.

أولاً: مفهوم الصبر لغةً واصطلاحاً:

الصبر لغةً: الحبس^(١) والتحمل، وهو نقيض الجزع.

واصطلاحاً: حبس النفس عن التسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية^(٢). وقيل هو: ثبات القلب على الأحكام القدرية والشرعية^(٣).

وهو ثلاثة أنواع:

١. الصبر على طاعة الله:

ومنها: الصبر على الفرائض كالصلاة والصوم والزكاة وقراءة القرآن وبر الوالدين وصلة الأرحام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢. الصبر عن معصية الله:

مما حرمه الله كالزنا والسرقه والغش والخيانة والكذب والنظر المحرم والغيبة والنميمة والظلم وأكل الحرام وغيرها.

(١) لسان العرب، مادة صبر، (٤/٤٣٨).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ص ٤٧٤).

(٣) الروح، ابن القيم (ص ٢٤١).

٣. الصبر على أقدار الله المؤلمة:

ومنها: المصائب والهموم والأحزان والفقر والجوع والمرض والخوف، وغيرها مما قد يعتري الإنسان في هذه الحياة.

فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاث، فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة منحة، وأصبحت البلية عطية، وصار المكروه محبوباً، فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته^(١)، ومن استكمل هذه المراتب الثلاث، استكمل الصبر، ولذة الدنيا والآخرة ونعيمها، والفوز والظفر فيها فالشجاعة والعفة، والجود والإيثار كله صبر ساعة^(٢).

ثانياً: فضل الصبر:

تتجلى مكانة الصبر في النقاط الآتية:

١. أمر الله نبيه والمؤمنين بالصبر:

فقال سبحانه: ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقال أيضاً: ﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

٢. ثناء الله على الصابرين ومحبته ومعيته لهم:

قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقال أيضاً: ﴿ وَأَصْبِرُوا ﴾ [النحل: ١٢٦]، وقال: ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم (ص ٥).

(٢) الطب النبوي، ابن القيم (ص ٢٥١).

٣. الصبر يكفر الذنوب:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما يصيب المؤمن من وصب، ولا نصب، ولا سقم، ولا حزن حتى الهم يهمه، إلا كفر به من سيئاته»^(١)، وقال أيضًا: «من يرد الله به خيرًا يصب منه»^(٢)، وقال كذلك: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله وما عليه خطيئة»^(٣).

٤. الصبر يزيد المؤمن رفعة:

فالمسلم إذا كان الله قد اختار له منزلةً رفيعةً عنده ثم لم يُبلِّغها بالعمل الصالح فإن الله يبتليه حتى يصل إلى تلك المنزلة إن صبر على البلاء، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن العبد إذا سبقت له من الله عزَّجَلَّ منزلةً لم يبلِّغها بعمله، ابتلاه الله جل وعز في جسده، أو في ماله، أو في ولده ثم صبره على ذلك حتى يُبلِّغهُ المنزلة التي سبقت له من الله جل وعز»^(٤)، وقال أيضًا: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرًا له»^(٥).

٥. الصبر أفضل العطاء:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر»^(٦).

(١) مسلم، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، ح(٥٢).

(٢) البخاري: باب ما جاء في كفارة المرض ح(٥٦٤٥).

(٣) أبو داود: باب ما جاء في الصبر على البلاء، ح(٢٣٩٩).

(٤) أبو داود: باب إذا كان الرجل يعمل عملاً صالحاً فشغله عنه مرض أو سفر، ح(٣٠٩١).

(٥) مسلم: باب المؤمن أمره كله خير، ح(٦٤).

(٦) البخاري: باب الاستغفار عن المسألة، ح(١٤٦٩).

وقال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللهُ: «ما من عبد وهب الله له صبراً على الأذى،
وصبراً على البلاء، وصبراً على المصائب، إلا وقد أُوتِيَ أفضل ما أُوتِيَه أحد، بعد
الإيمان بالله»^(١).



(١) الصبر والثواب عليه، ابن أبي الدنيا (ص ٢٨).

الدرس السادس: العفة

العفة من الأخلاق الرفيعة التي دعا إليها الإسلام وحث عليها ورغب فيها، فقد أثنى الله ورسوله على المتعفين، وإذا شاع هذا الخلق في المجتمع فلا تسأل عن الطمأنينة التي يعيشها والألفة التي تسوده.

أولاً: مفهوم العفة لغةً واصطلاحاً:

لغة: ترك الشهوات من كل شيء، وغلب في حفظ الفرج مما لا يحل^(١).
واصطلاحاً: حصول حالةٍ للنفس تمتنعُ بها عن غلبة الشهوة، والمتعفف هو المتعاطي لذلك بضربٍ من الممارسة والقهر^(٢).

ثانياً: فضل العفة:

تتجلى مكانة العفة في النقاط الآتية:

١. أمر الله بالعفة وأثنى على المتعفين:

فقال سبحانه: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وقال أيضاً: ﴿وَلَيْسَتَّعَفِّفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣]، وقال في حق القواعد من النساء: ﴿وَأَنْ يَسْتَعَفِّفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠]، والعفة من صفات الأنبياء وأهل الإيثار: قال سبحانه:

(١) المعجم الوسيط (٦١١).

(٢) المفردات (٣٣٩).

﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَّقَتْ الْأَتُوبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

٢. أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعفة:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ وَعَصُّوا تَعَفَّ نَسَاؤُكُمْ»^(١)، وقال أيضاً: «أربع إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمته»^(٢)، وفي حديث أبي سفيان لهرقل: قال: «فماذا يأمركم به؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة.. الحديث»^(٣).

٣. دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه وسؤاله العفة:

كان من دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم إنِّي أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»^(٤)، وقد ترك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطعام المشتبه خشية الحرام، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنِّي لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي، ثم أرفعها لأكلها ثم أخشى أن تكون صدقة فألقياها»^(٥).

٤. العفة سبب لدخول الجنة:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق

(١) الترغيب والترهيب، المنذري (٣/٣١٨).

(٢) مسند أحمد: ح (٦٦٦١).

(٣) البخاري: باب دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس، ح (٢٩٤١).

(٤) مسلم: باب التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمَنْ شَرَّ مَا لَمْ يَعْمَلْ، ح (٧٢).

(٥) البخاري: باب إذا وجد تمر في الطريق، ح (٢٤٣٢).

موفق، ورجل رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعضيف ذو عيال»^(١)، وقال أيضًا: «ثلاثة حقّ على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف»^(٢).

والعفة أنواع منها:

١. العفة في اللسان: بأن يكف لسانه عن أعراض الناس.
 ٢. العفة في النظر والفرج بعدم الخيانة، فالله يعلم خائنة الأعين، ومن يُحْنِ يَهِنُ، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣٠، ٣١].
 ٣. العفة في المال: قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].
- وقد أجمل الماوردي رحمه الله هذه الأنواع بقوله: العفة والنزاهة والصيانة من شروط المروءة، والعفة نوعان: أحدهما العفة عن المحارم، والثاني العفة عن المآثم، فأما العفة عن المحارم، فنوعان: أحدهما ضبط الفرج عن الحرام، والثاني كفّ اللسان عن الأعراض.

وأما العفة عن المآثم فنوعان أيضًا: أحدهما: الكفّ عن المجاهرة بالظلم، والثاني: زجر النفس عن الإسرار بخيانة^(٣).

(١) مسلم: باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ح(٦٣).

(٢) الترمذي: باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب، ح(١٦٥٥).

(٣) أدب الدنيا والدين، الماوردي (ص ٣٩٠).

الدرس السابع: الأمانة

الأمانة من الأخلاق الكريمة التي دعى إليها الإسلام وبها تصلح حياة الناس ويتشتر الخير.

أولاً: مفهوم الأمانة لغةً واصطلاحاً:

الأمانة لغةً: ضد الخيانة، وأصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف^(١).

والأمانة اصطلاحاً: هي كلُّ حقٍّ لزمك أداؤه وحفظه^(٢).

وقيل هي: كلُّ ما افترض على العباد فهو أمانة، كصلاة وزكاة وصيام وأداء دين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار^(٣).

ثانياً: فضل الأمانة:

تتجلى مكانة الأمانة في النقاط الآتية:

١. الأمانة من أخلاق الأنبياء والمرسلين:

قال الله تعالى عن عاد عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨]، وقال سبحانه عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُّ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٦، ١٠٧]، وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أخبرني أبو سفيان أن هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم فزعمت أنه يأمر بالصلاة

(١) لسان العرب، ابن منظور (٢١/١٣).

(٢) فيض القدير، المناوي (٢٨٨/١).

(٣) الكليات، الكفوي (١٧٦، ١٨٦).

والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة. قال: وهذه صفة نبيي^(١). وكان نبينا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلقب قبل البعثة بالصادق الأمين.

٢. أثنى الله على أهل الأمانة وامتدحهم:

فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، والأمانة من صفات الكمال: قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنِّي خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجْرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِهِ؟ اسْتَخْرِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].

٣. لعظم الأمانة تبرات منها السماوات والأرض والجبال:

قال سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

٤. نهى الله عن الخيانة:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، كما أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظ الأمانة وأدائها فقال: «أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»^(٢) كما عد خيانة الأمانة وتضييعها من خلق المنافقين فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»^(٣).

(١) البخاري: باب من أمر بإنجاز الوعد، ح (٢٦٨١).

(٢) أبو داود: باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده، ح (٣٥٣٤).

(٣) البخاري: باب علامة المنافق، ح (٣٣).

الدرس الثامن: بر الوالدين وصلة الرحم

قرن الله عبادته بالإحسان للوالدين كما قدّم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بر الوالدين والإحسان إليهما على الجهاد في سبيل الله، وتتجلى مكانة بر الوالدين وصلة الرحم في النقاط الآتية:

١. أمر الله سبحانه وتعالى بالإحسان إلى الوالدين:

حث الله عزَّ وجلَّ على الإحسان إلى الوالدين والرفق بهما وخفض الجناح لهما، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

٢. قرن الله حق الوالدين بعبادته:

قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين، فإن الله سبحانه جعلها سبباً لخروجك من العدم إلى الوجود وكثيراً ما يقرن الله سبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدين»^(١)، وبر الوالدين من دأب الأنبياء قال تعالى في قصة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِنَفْسِهِ جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢].

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢/ ٢٦٠).

٣. قرن الله عبادته بصلة الرحم:

الإحسان إلى الأقارب عبادة مرتبطة بميثاق بين الله وبين البشر قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة: ٨٣]، كما أوصى الله بذوي القربى فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠].

٤. بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»^(١)، وجاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستأذنه في الجهاد، فقال: «أحي والداك؟» قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»^(٢).

٥. الوالدة أحق الناس بحسن الصحبة:

جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أبوك»^(٣).

٦. عقوق الوالدين من أسباب دخول النار:

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، فلم يغفر له»^(٤)، وقال أيضًا: «ثلاثة لا ينظر الله

(١) البخاري: ح (٥٩٧٠).

(٢) البخاري: باب الجهاد بإذن الأبوين، ح (٣٠٠٤).

(٣) مسلم: باب بر الوالدين وأنها أحق به، ح (١).

(٤) مسلم: باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة، ح (٢٥٥١).

إليهم يوم القيامة: عاق والديه ومدمن الخمر ومنان بما أعطى»^(١)، و قال أيضًا: «من الكبائر شتم الرجل والديه»، قالوا: يا رسول الله! وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»^(٢).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «لا منعم بعد الحق سبحانه على العبد كالأولاد، فقد حملت الأم بحمله أثقالاً كثيرة، ولقيت وقت وضعه مزعجات مثيرة، وبالغت في تربيته وسهرت في مداراته، وأعرضت عن جميع شهواتها لمراداته، وقدمته على نفسها في كل حال، وقد ضم الوالد إلى تسببه في إيجاده ومحبته بعد وجوده وشفقته في تربيته الكسب له والإنفاق عليه، والعامل يعرف حق المحسن ويجتهد في مكافأته»^(٣).

٧. صلة الأرحام تزيد في العمر وتوسع الرزق وتدفع البلاء:

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سره أن يُمدَّ له في عمره ويُوسَّع له في رزقه ويُدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه»^(٤)، وقال أيضًا: «صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار، يعمرن الديار، ويزيدن في الأعمار»^(٥)، وقال أيضًا: «إن الله ليعمر بالقوم الديار، ويثمر لهم الأموال، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضًا لهم» قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «بصلتهم لأرحامهم»^(٦).

(١) الحاكم في المستدرک على الصحيحين، ح (٧٣١٥).

(٢) مسلم: باب بيان الكبائر وأكبرها، ح (١٤٦).

(٣) ينظر البر والصلة، ابن الجوزي (ص ٣٩).

(٤) الأحاديث المختارة لعبد الواحد المقدسي ح (٥٣٧).

(٥) شعب الإيمان للبيهقي ح (٧٥٩٩).

(٦) المستدرک على الصحيحين للحاكم: ح (٧٢٨٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةَ أَصْلِهِمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَيَسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلَمَ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المَلَّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»^(١)، وقال أيضًا: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»^(٢).

٨. صلة الرحم سبب لدخول الجنة:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال»^(٣)، كما أن صلة الرحم من علامات الإيمان، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»^(٤).



(١) مسلم: باب صلة الرحم، ح(٢٢).

(٢) البخاري: باب ليس الواصل بالمكافئ، ح(٥٩٩١).

(٣) مسلم: باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا، ح(٧٢٠٧).

(٤) البخاري: باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ح(٦٠١٨).

أسئلة الوحدة الخامسة

١. ما تعريف المصطلحات الآتية لغة واصطلاحًا: الأخلاق، الإحسان، العدل، الصبر، العفة، الأمانة؟
٢. عدد مع ذكر الدليل خمسًا من فضائل الأخلاق.
٣. عدد ستًا من طرق اكتساب الأخلاق.
٤. بين مع ذكر الدليل خمسًا من فضائل الإحسان.
٥. بين مع ذكر الدليل أربعًا من فضائل العدل.
٦. بين مع ذكر الدليل خمسًا من فضائل الصدق.
٧. ما مجالات الصدق؟
٨. بين مع ذكر الدليل خمسًا من فضائل الصبر، ثم اذكر أنواعه.
٩. بين مع ذكر الدليل خمسًا من فضائل العفة.
١٠. بين مع ذكر الدليل خمسًا من فضائل الأمانة.
١١. بين مع ذكر الدليل خمسًا من فضائل بر الوالدين ومكانتها.
١٢. اذكر ثلاثة أدلة على صلة الرحم.



الوحدة السادسة

نظرة الإسلام للحياة والكون

❁ الدرس الأول: نظرة الإسلام للحياة.

❁ الدرس الثاني: نظرة الإسلام للكون.

❁ الدرس الثالث: البيئـة في الإسلام.

الوحدة السادسة

نظرة الإسلام للكون والحياة

عُني الإسلام بصلاح الإنسان والكون والحياة وفق نظام بديع يجمع أوجه السلوك الديني والمدني وينظم علاقة الإنسان بالأرض التي استخلفه الله فيها، وفي الأسطر الآتية بيان موجز عن نظرة الإسلام للكون والحياة.

الدرس الأول: نظرة الإسلام للحياة

ينظر الإسلام إلى الحياة نظرة متوازنة ويمكن إيجازها في خمسة معالم هي:

١. الغاية من الخلق:

من الأسئلة المصيرية في حياة البشر ما الغاية من خلق الإنسان؟ وما مصيره بعد الموت؟ وقد ضلت كثير من الأمم في معرفة الحق واتباعه في هذه التساؤلات الكبرى، بينما يجب الإسلام بسهولة ووضوح، فبين غاية خلق الإنسان بقوله:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وبين المصير بعد الموت فقال:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحَّحَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]،

وقوله: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠].

٢. الدنيا مزرعة الآخرة:

خلق الله الإنسان وعرفه سبيل الرشاد وبين له سبل الضلال من خلال الوحي إلى رسله قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفْكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، وبين حقيقة هذه الحياة الدنيا وأنها دار ممر لا دار مقر قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مالي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»^(١).

٣. الحياة الدنيا دار ابتلاء وامتحان:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، وهي دار عمل وتسابق إلى الخير فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الملك: ٢]، وفيها سنة التدافع بين الخير والشر، ليميز الخبيث من الطيب، ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(١٤٠)، ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ﴾^(١٤١) أمر حسبتهم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جهدوا أنفسهم ويعلم الصابرين ﴿[آل عمران: ١٤٠-١٤٢].

٤. التوازن بين الدنيا والآخرة:

نظرة الإسلام إلى الحياة الدنيا قوامها الاعتدال والتوازن، فبالرغم أن الحياة الدنيا ليست نهاية المطاف، إلا أن الإسلام لم يهملها ولم يأمر بتركها والتجاني عنها،

(١) الترمذي: باب الزهد، ح(٢٣٧٧).

كما أنه لم يجعلها الغاية التي يعمل الإنسان من أجلها قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

وقد راعى الإسلام الطبيعة البشرية في الميل إلى زينة الحياة الدنيا فأباحها، على أن لا تصد عن العمل للآخرة، والسعي إلى مرضاة الله عزَّ وجلَّ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

٥. الدنيا ليست غاية؛

لما كانت الحياة الدنيا مؤقتة، وحالة عابرة، وعرضاً زائلاً في رحلة الإنسان المتمثلة في الأطوار التي يمر بها الإنسان من: ولادة ونشأة، ثم موت وحياة برزخية ثم البعث بعد الموت، ثم استقرار وخلود في الدارة الآخرة، فالحياة الدنيا زينة وليست قيمة لأنها عرض زائل، أما القيمة أو الحقيقة الخالدة فهي حقائق الآخرة، لذا قال الله سبحانه وتعالى عن الحياة الدنيا: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُمْصَقاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].



الدرس الثاني: نظرة الإسلام للكون

الإسلام دين شمولي وله نظرتة الخاصة والفريدة للكون وما يحيط به من بيئة ومخلوقات وفي الأسطر الآتية بيان ذلك:

١. تكريم الإسلام للإنسان:

كرم الإسلام الإنسان فقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، فقد خلقه الله في أحسن تقويم حيث قال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، ومنحه العقل فأصبح يميز به بين الصواب والخطأ، وبين الخير والشر، وبين النافع والضار.

٢. الكون لله ويسير وفق سننه وخاضع له:

إن النظام الدقيق الذي يجري عليه الكون بجزئياته، والوظائف التي تؤديها أجزاؤه بكفاءة من غير تخلف أو اضطراب، يدل على حكمة الواحد الأحد، وعظيم قدرته، وهذه السنن مطردة لا تتخلف ما دامت السماوات والأرض، قال الله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٢٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢٨) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٢٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿ [يس: ٣٧-٤٠].

فالكون بما فيه من مجرات، وأفلاك ونجوم وكواكب، وما يقطن هذه الكواكب من بشر وشجر وحجر وحيوان، كلها خاضعة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿نَسِجُهُ لهُ

السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ. وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٩٤﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال أيضًا: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ [مريم: ٩٣-٩٥].

٣. التأمل والتدبر في الكون عبادة:

التأمل في آيات الله يرى أن هناك دعوة متكررة للإنسان للنظر والتأمل في خلق الله يقول الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ويوجه النظر إلى آثار الظواهر الكونية من ليل ونهار وشمس وقمر ومطر فيقول سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم: ٥٠]، ويدعو في موضع آخر إلى إمعان النظر في النفس البشرية والتأمل في تفاصيل أعضائها ووظائفها فيقول: ﴿وَفِي آفْسُكُمُ أَفْلًا بُصْرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١]، ويدعو إلى النظر والتأمل في المخلوقات الأخرى قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

وهذا التأمل طريق إلى معرفة الله والتيقن بوحدانيته كما أنه يعمق الإيمان، ويزيد من خشية الله وتعظيمه في قلب المسلم قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان: ٦٢].

٤. الكون مسخر للإنسان:

سخر الله ما في الكون للإنسان، وهذا التسخير عون للإنسان على أداء وظيفة الاستخلاف في الأرض بإعمارها، من خلال تحقيق العبودية الكاملة لله في كافة نشاطه الإنساني، قال الحق: ﴿الْمَرْتَرُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةَ وَبَاطِنَةَ﴾ [لقمان: ٢٠]، وعن تسخير الليل والنهار والشمس والقمر قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢، ١٣].

وقال عن تسخير الفلك والبحار: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَتَلْتَبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

فالكون بجميع ظواهره من ليل ونهار وشمس وقمر ومجرات ونجوم وكواكب وسماء وأرض وما يعيش فيها من حيوان وطيور وجماد جميع ذلك قد سخره الخالق العظيم بفضله وكرمه وجوده للإنسان.

٥. خلق الكون بتقدير مُحْكَم:

كل ما خلقه الله في هذا الكون قد خلق بمقادير محددة تكفل الحياة الملائمة لكل كائن حي، في اتزان بيئي رباني قال جل جلاله: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال أيضًا: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ بِنَقْدِيرٍ﴾ [الفرقان: ٢].

فإذا تأملنا في تقدير خلقه للنبات نجد أن التلقيح في النبات ذاتي وخططي، والذاتي هو ما اشتملت زهرته على عضو التذكير والتأنيث، والخططي هو ما كان

عضو التذكير فيه مُنفصلاً عن عضو التأنيث كالنَّخِيل فيكون بالنَّقل، ومن وسائل ذلك الرياح، وهذا هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ ﴾ [الحجر: ٢٢].

وإذا نظرنا في نعمة التنفس وهي نعمة قليل من يشكرها نجد أن الأوكسجين يُقلُّ في طبقات الجوِّ العُلْيَا، فكلُّما ارتفع الإنسان في أجواء السماء أحسَّ بضيق الصدر، وصعوبة التنفُّس، والله تعالى يقول: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وفي مجال خلق الإنسان يقول الله تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۗ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق: ٥، ٦]؛ إذ إنَّ التكوينات الأولى للبويضة والحيوان المنويَّ تبدأ من بين الصُّلب والتراتب، وهي عظام الصِّدْر، كما أودع جسم الإنسان عشرات الأنظمة والأعضاء التي تقوم بوظائفها العجيبة في خلق مبهر وتقدير محكم.



الدرس الثالث: البيئة في الإسلام

وضع الإسلام قوانين وأنظمة تحفظ مكونات البيئة وتحقق السلامة لأجزائها ومن ذلك:

أولاً: النهي عن الفساد في الأرض:

اعتبر الإسلام أن إفساد الكون وتعريض الطبيعة للدمار والتلوث مسلك المنحرفين عن الصراط المستقيم قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «فهذا المنافق ليس له همّة إلا الفساد في الأرض، وإهلاك الحرث، وهو: محل نماء الزروع والثمار، والنسل وهو: نتاج الحيوانات الذين لا قوام للناس إلا بهما»^(١). ينظر الإسلام إلى الكون أنه ملكية عامة فيدعو الإنسان للمحافظة عليه وعدم إفساده قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥].

ثانياً: المحافظة على الحيوان:

جاء الإسلام بالمحافظة على الحيوان وشرع عددًا من الشرائع للتعامل معه ومن ذلك:

١. الرحمة بالحيوان:

حث الإسلام على الرحمة بالحيوان والإنفاق عليها بالمعروف، وحرّم تجويعها وظلمها، في الحديث دخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/٣٤٦).

جمل فلما رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حن إليه وذرفت عيناه، فأتاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمسح ذفراه^(١) فسكت، فقال: «من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟» فجاء فتى من الأنصار، فقال: لي يا رسول الله، فقال: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنها تشكو إلي أنك تجيعه وتدئبه»^(٢) أي: تتعبه، وقال أيضاً: «عُدَّتْ امرأة في هرة سجنها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقتهَا إذ هي حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»^(٣).

كما فسح المجال للدواب لترعى في بعض النهار إذا كان السفر في أرض خصبة، وبعدم الإسراع في أثناء السير، أما إذا كان السفر في أرض مجدبة فالإسراع حتى لا تنهك الدواب من الجوع، كما حث على سرعة إراحتهَا بعد انقضاء عملها، بإنزال ما حمل عليها، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كنا إذا نزلنا منزلاً لا نسبح حتى نحل الرحال»^(٤). وفي الرحمة بالحيوان، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بيننا رجل بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملاً خفه ماء، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له»، قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجراً؟ فقال: «في كل ذات كبد رطبة أجر»^(٥)، ولما فُجعت حمرة بصغارها قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها»^(٦).

(١) الذفري: مؤخر رأس البعير.

(٢) أبو داود: باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، ح(٢٥٤٨).

(٣) البخاري: باب حديث الغار، ح(٣٢٩٥).

(٤) أبو داود: باب في نزول المنازل، ح(٢٥٥١).

(٥) البخاري: باب رحمة الناس والبهائم، ح(٥٦٦٣).

(٦) أبو داود: باب في قتل الذر، ح(٥٢٦٨).

٢. الحيوان بعضها حلال وبعضها حرام:

أحل الإسلام بهيمة الأنعام؛ الإبل والبقر والغنم فيجوز الانتفاع بأي جزء منها قال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، كما حرم الخنزير بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام»^(١)، وحرَم السباع ذوات الأنياب فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كل ذي ناب من السباع فأكله حرام»^(٢).

٣. اقتناء الحيوان في الإسلام:

من الحيوان ما لا يجوز اقتناؤه إلا في بعض الحالات وهو الكلب، وثمانه خبيث، كما أن نجاسة فمه مغلظة، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط»^(٣)، وعن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن^(٤).

٤. النهي والأمر بقتل بعض الدواب:

نهى الإسلام عن قتل بعض الحيوان من ذلك ماورد في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن قتل أربع من الدواب: النملة

(١) البخاري: باب بيع الميتة والأصنام، ح(٢١٢١).

(٢) مسلم: باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، ح(١٩٣٣).

(٣) البخاري: باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، ح(٣١٤٦).

(٤) البخاري: باب ثمن الكلب، ح(٢١٢٢).

والنحلة والهدهد والصرده»^(١)، في المقابل أمر الإسلام بقتل بعض الحيوان لأذيته وفسقه وضرره على الإنسان، بل أجاز للمحرم قتله وحددها في خمسة أنواع، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور»^(٢).

٥. حماية البيئة الحيوانية في الحج:

عني الإسلام بالمحافظة على حماية البيئة الحيوانية فحرم الصيد على المحرم، حيث تقصد جموع الحجاج والمعتمرين البيت الحرام فتخيل لو ترك للحجيج والعمار حرية الصيد كيف ستكون موارد الأرض حول الحرم؟ حتما سيتم إرهاق الوسط الطبيعي، فتنقرض الدواب الموجودة في الحرم ومحيطه.

٦. النهي عن القتل العيث للحيوان:

حرم الإسلام القتل العيث للحيوان قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها سأل الله عَزَّوَجَلَّ عنها يوم القيامة» قيل: يا رسول الله فما حقها؟ قال: «حقها أن تذبحها فتأكلها ولا تقطع رأسها فيرمى بها»^(٣)، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً»^(٤)، وحرّم كذلك التحريش بينها وتحريض بعضها على بعض، كما هو موجود في بعض الرياضات المعاصرة، لما ينتج عن ذلك من إلحاق الأذى بها، ففي الحديث: «نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن التحريش بين البهائم»^(٥).

(١) أحمد في مسنده: ح(٥٢٦٩).

(٢) البخاري: باب ما يقتل المحرم من الدواب، ح(١٧٣٢).

(٣) النسائي في المجتبى: باب من قتل عصفوراً بغير حقها، ح(٤٤٥٧).

(٤) مسلم: باب النهي عن صبر البهائم، ح(١٩٥٧).

(٥) أبو داود: باب في التحريش بين البهائم، ح(٢٥٦٢).

٧. الأمر بالإحسان في ذبح الحيوان:

ومما حث عليه الإسلام ورغب فيه، إحسان ذبح الحيوان المأمور بذبحها، ويكون ذلك بالإسراع في إزهاق نفوسها على أسهل الوجوه، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته»^(١)، وإحسان ذبح البهائم: أن يرفق بالبهيمة، ولا يصرعها بغتة، وأن يوجهها إلى القبلة، ويسمي ويحمد، ويقطع الحلقوم والودجين، ويتركها إلى أن تبرد.

إن منهج الإسلام في التعامل مع الحيوان يجسد الاعتدال والوسطية في كل شيء، فلا إفراط في حقوق الحيوان بحيث تنزل منزلة الإنسان، أو أرفع منه درجة، ولا تفريط في القيام بما يجب فيها من الرعاية، بل منهج الإسلام قائم على الرفق بالحيوان، والإحسان إليها، والاحتساب إلى الله عَزَّجَلَّ في ذلك.



(١) مسلم: باب الأمر بإحسان الذبح، ح(١٩٥٥).

ثالثاً: المحافظة على النبات:

اعتنى الإسلام كذلك بالمحافظة على الثروة النباتية وأوجد ضوابط وتشريعات تحقق المحافظة على الغطاء النباتي ومن ذلك:

١. الترغيب في الزراعة:

رغب الإسلام في الزراعة ووعد بالأجر عليها، إذ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة»^(١).

٢. النهي عن قطع الأتجار من غير حاجة:

من جانب آخر حذر الإسلام من التعامل العبثي مع البيئة النباتية فقد نهى الإسلام عن قطع الأشجار عبثاً، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قطع سدره صوب الله رأسه في النار»^(٢)، والمعنى أن من قطع سدره في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها، صوب الله رأسه في النار. ومعلوم أن السدر من الأشجار التي تتكيف مع البيئة شبه الصحراوية، وهي التي تبقى قبل التصحر، فلو قطعت مثل هذه الأشجار صارت الأرض صحراء جرداء.

٣. المحافظة على المحميات:

اعتنى الإسلام بالحفاظ على المحميات الطبيعية، فالفقه الإسلامي يقرر إذا اقتضت مصلحة المسلمين أن يحمي إمامهم أرضاً فمشروع له، وذلك بمنع

(١) مسلم: باب فضل الغرس والزرع، ح(١٥٥٢).

(٢) أبو داود: باب قطع السدر، ح(٥٢٣٩).

الرعي والصيد فيها، ولا يخفى البعد البيئي في هذا التشريع؛ إذ ستتكاثر أشجاره وأعشابه، وتتكاثر الحيوانات والدواب الموجودة فيه، وفوائد مثل هذه الغابات على حياة الإنسان كثيرة جداً.



رابعاً: الحفاظ على الموارد المائية:

جاء الإسلام بالمحافظة على الماء وتشريعاته تحقق ذلك ومن أهمها:

١. اعتبار الماء أساس الحياة:

الماء جوهر الحياة، ولا تقوم حياة كل شيء حي إلا بالماء، قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، فالماء أحد أهم عناصر البيئة، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩٩].

٢. النهي عن تلويث الماء:

للماء وظيفة أساسية في الإسلام هي تطهير البدن والملبس مما يعلق به من أوساخ ونجاسات ليصبح مؤهلاً للقاء الله تعالى قال جل في علاه: ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ [الأنفال: ١١]، ويقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨]، لذا نهى الإسلام عن تلويث الماء، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ولا يغتسل فيه من الجنابة»^(١).

٣. الأمر بالاعتقاد في استخدام الماء:

أمر الإسلام بالاعتقاد في استخدام الماء ونهى عن الإسراف قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتوضأ بالمد كما روى ذلك أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢) ومرو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسعد

(١) أبو داود: باب البول في الماء الراكد، ح (٧٠).

(٢) البخاري: باب الوضوء بالمد، ح (١٩٨).

وهو يتوضأ، فقال: «ما هذا السرفُ يا سعدُ؟ قال: أفي الوضوءِ سرفٌ؟ قال: «نعم، وإن كنت على نهر جارٍ»^(١).

٤. عدم منع الماء للمحتاج:

أمر الإسلام بإشاعة الماء وعدم منعه من يحتاج إليه، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بالفضلة يمنع من ابن السبيل»^(٢).



(١) البيهقي: شعب الإيمان، ح(٢٧٨٨).

(٢) البخاري: باب اليمين بعد العصر، ح(٢٥٢٧).

خامساً: نظافة البيئة والصحة العامة في الإسلام:

اعتنى الإسلام بنظافة البيئة والصحة العامة، وبيان ذلك فيما يأتي:

١. النظافة عنصر جوهري في الإسلام:

ثاني الآيات نزولاً هي آيات تعني بالطهارة والنظافة، قال الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ① فُرْقَانًا ② وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④﴾ [المدثر: ١-٤].

ترتبط نظافة البيئة في الإسلام ارتباطاً وثيقاً بالطهارة والتي هي مرتبطة بالصلاة؛ إذ أثنى الله على المتطهرين بقوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وجه الإسلام إلى نظافة البدن والثوب ومكان الصلاة، فشرع الوضوء قبل الصلاة وقراءة القرآن، وندب إلى الغسل كل جمعة، كما اشترط طهارة البدن والثوب والبقعة قبل الصلاة، كما أوجب الغسل عند الجنابة وانتهاء الحيض.

كما أمر الإسلام بإزالة ما يمكن أن تتجمع تحته القذارة والميكروبات، فمن ذلك أمره بالاستحداد، أي حلق شعر العانة وشفة الإبط والختان وقص الشارب يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خمس من الفطرة: الاستحداد والختان وقص الشارب وشفة الإبط وتقليم الأظافر»^(١).

٢. غسل الأيدي قبل النوم وبعده:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة»^(٢)،

(١) مسلم: باب خصال الفطرة، ح (٢٥٧).

(٢) البخاري: باب فضل من بات على وضوء، ح (٢٤٧).

وقال أيضًا: «إذا قام أحدكم من نومه فليغسل يديه فأنت لا تدري أين كانت يداك»^(١).

٣. العناية بنظافة الفم والأسنان:

كان رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستاك إذا أخذ مضجعه وإذا قام من الليل وإذا خرج إلى الصلاة، وحث أمته على السواك بقوله: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»^(٢).

٤. إمطة الأذى من تتعب الإيمان:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»^(٣)، فجعل الحفاظ على البيئة ورفع الأذى من الطريق عمل صالح.

٥. التحذير من تلويث البيئة:

حذر الإسلام من تعريض الطرق للنجاسات وعد ذلك سببًا من أسباب حلول اللعنة قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتقوا اللعانين» قالوا: وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: «الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم»^(٤).

كما نهى عن البصاق على الأرض وعد ذلك خطيئة، ففي الحديث: «البصاق على الأرض في المسجد خطيئة وكفارتها ردمها»^(٥).

(١) ابن حبان: باب ذكر الأمر بغسل اليدين للمستيقظ من نومه، ح(١٠٦٣).

(٢) البخاري: باب سواك الرطب واليابس للصائم (٣/٣١).

(٣) مسلم: كتاب الإيمان، ح(٥٧).

(٤) مسلم: باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال، ح(٢٦٩).

(٥) البخاري: كفارة البزاق في المسجد، ح(٤١٥).

أسئلة الوحدة السادسة

- ١ . اذكر أربعة معالم في نظرة الإسلام إلى الكون مع الدليل.
- ٢ . النهي عن الفساد معلم بارز في نظرة الإسلام للبيئة اشرح ذلك مع الدليل.
- ٣ . اذكر ستة معالم في نظرة الإسلام إلى الحياة مع الدليل.
- ٤ . اذكر سبعة معالم في منهج الإسلام في التعامل مع الحيوان مع الدليل.
- ٥ . اذكر ثلاثة معالم في منهج الإسلام في التعامل مع النبات مع الدليل.
- ٦ . اذكر أربعة معالم في عناية الإسلام بالموارد المائية مع الدليل.
- ٧ . اذكر خمسة معالم في نظافة البيئة والصحة العامة في الإسلام مع الدليل.



